٤٧

مجلة
روايات أحلام

سَرِقِين العُمر

www.rewity.com/vb
ريم

مجلة روايات أحلام

تسرقين العمر

«ستكونين رابع عروس في «غربت سليف» وأجمل وردة في مزرعتي».

وعد أطلقه بيري لوغان منذ أربع سنوات.. وخذلته شانا، فقد ضحّت بعواطف قلبها من أجل نداء الضمير، ولم يغفر لها بيري هذا...

ودفعتها رياح الحنين بعد الغياب الطويل إلى السفر مع عمتها إلى مزرعته، يهدهدها أمل واهٍ أن تكون نيران الذكريات التي تؤرق لياليها ما زالت متأججة في قلبه.

لكن بيري لوغان سرعان ما أوضح لها أنه لم يعد مهتماً بها، خاصة وأنه الآن خطيب فتاة أخرى...

www.rewity.com/vb

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ رحلة الى الماضي

وقفت شانا على حافة المرجة تنظر بفخر إلى خطوط العشب المخططة المستقيمة، بينما وقفت عمتها في غرفة الجلوس تراقبها بسرور عبر النافذة.

بعد دقائق وضعت مجز العشب في السقيفة، ثم دخلت الى حيث تجلس عمتها غلوريا التي كان في يدها صنارتا الغزل.

ـ كنت أقف معجبة بما صنعته يداي.. والمرجة بعد الجزّ رائعة دوماً.

هزت العمة رأسها فلاحظت شانا ان العمة مشغولة البال وهي على هذه الحال منذ أيام. ترى ما الذي يشغل بالها؟

ـ لا أحب أن تقومي بهذا العمل في نهاية كل أسبوع. أنت بحاجة الى الراحة بعد عناء العمل.

ـ ولكنني أحب ما أقوم به.

والتفتت فلما لمحت وجهها في المرآة ضحكت:

ـ ما هذا المنظر! كيف أنكن دوماً من تلويث وجهي؟

هزت العمة كتفيها، ووضعت الغزل على ركبتها، فبدت شاردة الذهن. عندئذ قررت شانا أن تصعد وتستحم.. فكرت وهي مستلقية في المياه المعطرة الساخنة أن من الغريب ما تبدو عليه العمة غلوريا هذه الأيام. هناك دون أقل ريب ما يجول في خاطرها

www.rewity.com/vb

الا أن شانا لن تسألها فمتى أرادت لها العمة المعرفة أطلعتها.

وبينما هي مستلقية في المغطس، دافئة نعسى، سمحت لافكارها بالعودة إلى الوراء.. إلى الذكريات.

كان تود شاباً قوياً حين التقته أول مرة.. يومذاك لم تتصور لحظة أنه سيصبح مشلولاً ويموت صغيراً..

وقعت في غرامه إلى درجة الجنون وهي في الثامنة عشر. كان هو أول شاب وسيم صادفته وكانت هي فخورة إلى حد التشامخ لانه اختارها من بينهن جميعاً. بيد أنهما لم يتمكنا من الزواج لأن والد شانا منع عنهما موافقته، مصراً على أنهما لا يناسبان لبعضهما. ثارت وغضبت وتخاصمت مع أبيها دون جدوى، فعلى الرغم من ترك المنزل كانت مضطرة للحصول على إذن أبيها لتتزوج، وكان عليهما الانتظار ثلاث سنوات. حدث خلالها الكثير الكثير.

ما إن وصلت الى هذه المرحلة من التفكير حتى حاولت شانا قطع حبل أفكارها والتركيز على الاستحمام. إنما لا جدوى، فقد تطفل بيري لونغ على افكارها دون عناء.. بيري الذي كان عليها نسيانه منذ زمن طويل.. لفت نفسها بمنشفة وخرجت الى غرفة نومها المطلة على تلال خضراء، تشرف على بلدة شروزبري حيث تسكن الآن مع عمتها التي أوتها بعد وفاة تود منذ ستة أشهر. وعمتها ارملة ليس لديها أولاد، ورحبت بأن تعيش ابنة أخيها معها.

يومذاك بكت شانا على خسارة منزلها الصغير وقالت بصوت يغمره الحزن:

ـ لم أكن لأفكر ان شقيق تود قد يطردني من المنزل. لقد استأجرناه منه لأن تود لم يكن يكسب مالاً.. كما تعلمين.

كان المنزل ملكاً لديوغ، شقيق تود الذي أجرهما المنزل حين تزوجا بسعر معقول. ولكن بما أن ديوغ رجل عملي وجد أن لا بد من عرض المنزل للبيع بغية الربح.

أجابتها عمتها وقتذاك:

ـ إنه عمل شرير..

وأضافت على الفور أنها ستكون مسرورة بمشاطرتها المنزل بشكل دائم. وهذا ما كان فقد نقلت شانا ممتلكاتها البسيطة المثيرة للشفقة. ثم بقيت في عملها المرموق في مخزن بيع الملابس النسائية كبائعة، تتمتع بالشعور بالاستقرار والهدوء من جديد في منزل عمتها وفي عملها، كانت الحرية ممتعة بعد الوقت الذي امضته مع تود الذي بسبب حالته، كان نزقاً سريع الغضب، مع زوجته.

حين كانت تراه العمة كانت تنظر إليه وهو في الكرسي المتحرك وتقول:

ـ إنك لا تدري أبداً من ستشفق! إن اي انسان آخر كان سيضعك في ملجأ!

وكان يرد غاضباً:

ـ اصمتي.. واخرجي من هنا!

ـ لا أدري لماذا تزوجتك! وانت على ما أنت، مقعد مدى الحياة...

وكانت شانا تسرع للتدخل متوسلة.

ـ عمتي.. ارجوك.. سأزورك الاربعاء القادم.. ارجوك اذهبي الآن.

وهذا ما كان الحال عليه، ثلاث سنوات ونصف من زواجها، غير أنها كانت تحس أحياناً رغم صبرها وشفقتها انها قد اكتفت من

www.rewity.com/vb ريما

حياة العبودية هذه. . كانت تعمل طوال النهار، وتعود الى البيت لتقوم بعملها المنزلي، اضافة الى العناية بزوجها المقعد، وكانت تحس كذلك ان الحياة تمر بها متجاهلة وجودها. وأنها ستبقى على هذه الحال حتى تصبح عجوزاً هرمة.

فلم تكن تحيا حياة عادية كالتي يحياها أصدقاؤها الذين تزوجوا وانجبوا أطفالاً وعملوا وما زالوا يعملون لبناء مستقبل أفضل. كان الجميع يشفق عليها، وقد حدث أن قالت لها صديقة مشفقة عليها:

ـ كيف تعيشين معه شانا دون معاشرة زوجية؟ أنا لن أطيق الحياة التي تحيينها. ولو كانت مكانك لما تزوجته بعد الحادثة التي أقعدته وأفقدته ساقه. أعلم أن في قولي أنانية كبيرة لكن كنت سأضطر للتخلي عنه.

ـ كيف أتخلى عنه وليس له من يعينه. لقد رفضته زوجة أخيه وقالت إن من الأفضل له الذهاب الى الملجأ.

ـ اذن لقد فكرت في التخلي عنه؟

أطرقت شانا حينذاك برأسها رافضة متابعة الحديث بهذا الموضوع. فقد كان هناك بالفعل اسباب بنّاءة للتخلي عن نود، إنما لا تعود الى عجزه.

ـ شانا. . عزيزتي. . الشاي جاهز!

ردّها صوت العمة الى واقعها، فأسرعت تجفف نفسها.

ـ سأكون معك بعد دقائق. صبّي الشاي، فأنا لا أحبه ساخناً.

بينما كانت ترتدي ملابسها راحت تنظر في المرآة الى جسدها الذي لم يتغير منذ كانت في الثامنة عشرة. فهو ما زال نحيلاً وجذاباً وخلاّباً، لقد مرت أربع سنوات منذ أن قال لها بيري لونغ هذه الكلمات وهو يمسك خصرها بين يديه:

ـ يمكنني أن أقيسه بين يدي دون عناء.

ورفعها عن الارض بالسهولة نفسها. كان شاباً طويلاً، بهي الطلعة ذا جسد نحيل قوي أكسبه شهرة كبيرة، وكان صاحب مزرعة مواشي في غربت سليف في نيوزيلندا. حين التقته شانا وهو يقوم بزيارة لاقاربه في انكلترا قال لها:

ـ لقد خلقنا ليكون أحدنا مكملاً للآخر. لم تكوني تعرفين صالحك في الثامنة عشرة حبيبتي. أما الآن وأنت تشرفين على الحادية والعشرين فتعرفين ما تريدينه. قولي هذا لنود، يفهم وضعك.

انتفضت ثانية عندما سمعت صراخ عمتها:

ـ شانا ماذا تفعلين فوق بحق الله؟

ـ آسفة عمتي. . سأنزل حالاً.

وجدت الشاي على صينية فوق طاولة قرب الابواب الزجاجية الموصلة الى الشرفة المطلة على منظر الحديقة الجميلة ومرجها التي عمل فيها الحجز عملاً رائعاً. كانت الطيور تصدح فوق شجيرات الكبوش والأزهار الملونة في هذا الجو الدافىء وكانت الماشية ترعى في سفح التل حيث الربيع يودّع عنده أيامه ناشراً شذا الياسمين البري والقرنفل العطر وفارشاً بساطاً أخضر في كل مكان.

نظرت العمة اليها بفضول:

ـ انت لا تتأخرين عادة في ترتيب مظهرك؟ ماذا كنت تفعلين؟

اعطت شانا اشارة من يدها وهي تجلس:

ـ كنت غارقة في التفكير عزيزتي.

عبست العمة:

ـ في الماضي؟! وهل هناك غيره في ذاكرتك؟ آن لك أن

www.rewity.com/vb ريما

تضعي كل تعاستك السابقة في متاهة النسيان شانا، لبدء حياة جديدة.

نظرت شانا اليها بسرعة، ففي نبرة صوتها، وهي تنصح ابنة اخيها بالبدء من جديد رنة غريبة.

ـ وكيف للمرء ان يبدأ من جديد عمتي؟

تناولت العمة أمام دهشتها طبقاً من السندويشات وقدمته إليها.. ثم قالت بعد قليل من غير سابق انذار:

ـ ما رأيك برحلة الى نيوزيلندا؟ أفكر في زيارة بيري.

خيّم على اثر هذه الكلمات صمت مطبق أحست خلاله شانا باللون يهجر وجهها.

ـ لا افهم.. من أين لك المال الذي يحولك السفر الى نيوزيلندا.

ـ لقد ربحت جائزة صك تأمين.

ـ ربحت جائزة؟ متى كان هذا؟ لم تأتي على ذكر الأمر من قبل.

ـ ربحتها في الشهر الماضي، وقد تساءلت عما أفعله بالمال. أوه أعرف ان بإمكاني إدخاره الى يوم أسود غير أن هذا عمل يفوق الخيال.. الا تظنين هذا؟ قررت ان أراسل بيري لأرى إن كان يرحب بنا.

وصمتت العمة.. ولم يكن هناك مجال للخطأ في العبوس الذي استقر بين عينيها حين أردفت:

ـ كان.. كان أكثر من راغب في استقبالنا.

ردت شانا، وصوتها الهادىء السلس عادة، تشوبه الحدة:

ـ اذهبي عمتي.. بكل ترحاب. إنما من المستحيل أن ارافقك. لدي وظيفتي، وهناك المنزل والحديقة، فكيف نهجرهما.

أحست فجأة بقلبها تتسارع خفقاته. أيعقل أن يكون لذكر اسم بيري بعد أربع سنوات طوال هذا التأثير في قلبها؟ هي ما تزال تذكر غضبه حين قررت عدم ترك تود في محنته. كان غضبه لا يوصف إلا أنه سرعان ما استبدله بجو من الكبرياء وعدم الاكتراث، وقال لها وهو يفارقها:

ـ امضي في طريق عنادك! فلا أريد أن اراك ثانية ما دمت على قيد الحياة. إنني أحمد الله لأنني على بعد آلاف الاميال عنك.

عاد اليها صوت عمتها ليوقظها من ذكرياتها:

ـ لا استطيع الذهاب وحدي شانا.. تعرفين جيداً أنني اخاف ركوب الطائرة.

ـ سافري بحراً اذن.

ـ تستغرق الرحلة وقتاً طويلاً.. لا.. يجب ان ترافقيني.

ومدت يدها الى فنجانها فارتشفت قليلاً من الشاي. إنها تعرف ما تفكر فيه عمتها وتمتمت وكأنها تعبر عما يجول في رأس العمة:

ـ لا أحسب أن بيري متزوج. لأنك ما كنت لتقترحي هذه الرحلة لو تزوج.

ـ أرى أنك فهمت الصورة، لذا لن أخفي دوافعي. فأنا لا أرى ما يحول دون اجتماعكما ثانية بعد ترملك وتحررك من ذاك العبء الرهيب الذي اعتبر جميع من يعرفك موته رحمة، فليس هناك فتاة من بين مليون فتاة تتزوج من رجل لا يؤمن لها الحياة المريحة ولا المعاشرة. أما لقاؤك ببيري فاعتبر نفسي مسؤولة عنه. لذا منذ مغادرته البلد غاضباً وأنا ألوم ذاتي على تعاستكما.

ـ لا مجال للومك.. كان بيري يزور ابنة عمه السيدة دالمونت حين التقيناه. لذا دعك من لوم نفسك على ما لم يكن لك شأن فيه.

www.rewayti.net

ـ كانت السيدة دالمونت صديقتي، ولولا طلبي أن تقليه بسيارتك الجميلة الصغيرة لما حدث ما حدث.

ـ كيف تدبرين الاحداث كما يحلو لك عزيزتي.. لن استمع الى مثل هذا الهراء.

صمتت العمة مفكرة.. ثم:

ـ سأعود الى موضوع الرحلة الى مزرعة بيري.. لقد راسلته.

ـ ما علمت أنك معه على علاقة تحدوك الى مراسلته. أتتراسلان منذ زمن؟

ـ لا يا عزيزتي. راسلته فقط بعد ان ربحت الجائزة. سألته اذا تزوج فكان رده سلبياً عندئذ أخبرته أنك خرجة أخيراً منذ أشهر.

ـ أهذا ما قمت به حقاً؟ إن خطابك له كان موجهاً

وصبغت حمرة الحياء وجه شانا فأضفت فتنة إلى قسماتها المحاطة بكتلة برّاقة من الشعر الذهبي الشاحب الطويل، المسترسل حتى اطرافه. كانت عيناها البنفسجيتان تلمعان سخطاً على رسالة عمتها الحاملة بين طياتها تلك الكلمات الجريئة أي جرأة.

ـ حقاً.. عمتي.. ما كان يجب ان تكتبي الرسالة على ذاك النحو!

صفقت العمة بيديها:

ـ على ذاك النحو؟ وأين الخطأ في الطلب منه القيام بزيارة له؟ لقد كنت على وفاق معه إلى حد الوقوع في حبك. أعرف أنه سيسر برؤيتنا.

أحست شانا بشحوب وجهها الآن بعد تلاشي اللون منه.

ـ .. ولكنه كرهني قبل سفره.

قالت العمة بعد لحظات صمت:

ـ لم تطلعيني على هذا. إذ كان كل ما ذكرته أنك رفضت

التخلي عن تود للزواج به، وقد كنت ما زلت أتوق إلى معرفة ما حدث حقاً.

كان في نبرة صوتها دعوة مفتوحة فلم تجد من بد معها من أن تقول شانا:

ـ شعرت دوماً بأن أبي كان مصيباً في رأيه فلم أكن وتود مناسبين لبعضنا بعضاً وقد حدث في الواقع أن اقترحت على تود الافتراق ولكنه وقتذاك كان مرهف الحس.

وهزت العمة رأسها متفهمة:

ـ لقد واجهت صعوبات عاطفية كبرى.. اليس كذلك؟

ـ صحيح.. وكنت قد بدأت أشعر بأنني سخيفة وان الانتظار اصبح ثقيلاً. غير أن تود قال إن الامر سيختلف حين نتزوج.

ـ أفهم هذا.. إن هذه الصعوبات قد تكون رائعة إذا كان الانسان يحب الشخص الآخر. فقد كنت افتعل المشاكل مع زوجي عمداً حتى يلذ لنا التصالح.

ابتسمت شانا عصباً غير أن أفكارها عادت إلى لقائها الأول ببيري. فبعد أن تعرفت إليه تزايدت خفقات قلبها بطريقة مثيرة. وارتجف جسدها من رأسها حتى أخمص قدميها وأحست بالخجل وانعقد لسانها، أما بيري فسرّه تأثيره الكبير فيها.

ـ يومذاك اصرّ بيري على أن أقابله وأخرجني للعشاء.

كانت تحاول بقولها ذاك أن تخرج نفسها من الذكريات:

ـ أذكر أنني أحسست بالذنب. كنت اتمتع بوقتي معه، مع ذلك أعي تماماً أنني مخطوبة لتود، وكنت قد خلعت خاتمي وهذا ما زاد الشعور بالذنب.

وعلقت عمتها:

ـ قد يكون الضمير أحياناً مزعجاً للغاية. اكملي عزيزتي.

www.rewity.com

ـ كان بيري متسلطاً.. لم يصغ الي حين قلت إن عليَّ ألا أراه ثانية. وقد حدث أن كثرت لقاءاتنا وكأن القدر ساعده، فلقد سافر تود الى اسكتلندة ففقدت بذلك من يراقبني.. أذكر انني تركت عملي عدة ايام ليتسنى لي الخروج معه بسيارة استأجرها.. ففي ذاك الوقت بدا فجأة اننا نعرف بعضنا بعضاً منذ مدة طويلة، ..وكان الامر غريباً عمتي.. غير طبيعي.

ـ لم يكن غريباً بل وقوعاً في الحب. كان كل منكما يكمل الآخر. وهذا امر بعيد كل البعد عن الغرابة. انه حدث طبيعي، وجميل بل هو أجمل ما في الوجود لأنه الحب شانا.. الحب الحقيقي!

ـ فكرت في إرجاع الخاتم الى تود حالما يعود من رحلته ولكنه أصيب بذاك الحادث المشؤوم، كما تعلمين. وبما أن أخاه كان مسافراً فقد طلبوني لأكون معه في المستشفى.. فامتلأ قلبي شفقة عليه.. عمتي.. كنت أحب بيري حتى الجنون، ولكن تود كان بحاجتي. أما الباقي فتعرفينه. لقد عاد من السفر أخوه وزوجته مارغريت التي قالت ما إن رأته إنها لا ترغب في كسيح في منزلها يقيّد حركاتها.. فكان أن اتخذت قراري.

امتد الصمت طويلاً بينهما، كانت خلاله شفتا العمة مطبقتان بشدة. تعرف أنها حاولت يومذاك اقناع ابنة اخيها بالعدول عن قرارها فمن العبث العيش مع رجل عاجز حتى عن اكتساب معيشته، رجل لن يعطيها سوى القلق والجهد في العمل. وكما بدا فيما بعدأنه أعطاها إلى ذلك كله ألم القلب على مختلف وجوهه إذ كان جاحداً لا يعرف معنى العرفان بالجميل. فبعد اسابيع على زواجه اصبح كل شيء عنده امراً محتماً.. فلم يعد يمانع في خروج زوجته للعمل لإعالته بل أصبح همجياً يكاد لا يقول لزوجته كلمة

متمدنة. كل ذلك شهدته العمة بأم عينها ولم تشهده مرة يقول لها كلمة شكراً، حين تقدم له فنجان شاي أو تأتيه بسكائره أو بحلواه المفضلة. وكانت تمضي الشهور عليها دون أن تشتري ثوباً جديداً ودون أن ترى من الحياة ما يبهج. ولم يحدث في السنوات الثلاث التي بقيت فيها متزوجة به أن عطلت يوماً أو قامت برحلة الى مكان ولو ليوم واحد.

كان التهاب الرئتين الذي أودى بحياته، نعمة من الله، هذا ما فكرت فيه العمة دائماً مع أنها أخفت هذا الشعور عن ابنة اخيها التي قالت، حين قيل لها إن لا أمل منه، بصوت مفجوع:

ـ إنه صغير جداً.. أليس الامر مهولاً عمتي؟ إنه يحتضر في مثل هذا السن!

نظرت العمة الى ابنة أخيها الآن وهما جالستان قبالة بعضهما بعضاً. أجل.. لقد كان التهاب الرئتين نعمة من الله!

ـ لن أسأل ما اذا كنت مهتمة ببيري، فلقد شاهدت هذا في عينيك طوال ازمنك. وشاهدت الندم على ما كان. ألم تسأليني منذ قليل، كيف للمرء أن يبدأ من جديد.. إن الجائزة التي ربحتها ستجعلك تسافرين إلى بلاد بيري.

ـ حباً بالله عمتي لن أسافر الى نيوزيلندا لأرمي نفسي عليه.. لقد قلت لك إنه كرهني قبل سفره.

ـ أهذا ما قاله لك؟

ـ كانت الكراهية مسطورة على وجهه.

ـ هراء! فالرجل لا يحب في لحظة ويكره في اخرى.

ـ قال إنه لا يريد رؤيتي ما دام حياً.

ـ إنه رد فعل طبيعي يقوم به من اعتاد على أن تنفذ أوامره ورغباته، وقد طلب منك التخلي عن تود فرفضت.. وكان يعلم

www.rewity.com/vb ريما

مثلنا جميعاً، انك مخطئة في اتباع طريق تدمير حياتك وحياته معاً.

لذا أفهم غضبه.

تمتمت شانا:

ـ كان يبدو مريراً جداً.. لا استطيع الذهاب عمتي فمن المستحيل بعد هذه المدة الطويلة التقاط الخيوط.

ـ لا أقترح عليك التقاط الخيوط من حيث تركتها.. إنما أطلب منك البدء من جديد.

البدء من جديد.. إن رغبتها في رؤية بيري من جديد تمد جذورها في نفسها. فما الضير في المحاولة؟ وما الضير في السفر ورؤية ما ستكون عليه ردة فعله حين يلقاها.

قالت بعد تردد لعمتها:

ـ هل لي أن اقرأ رسالته؟ اذا كنت لا تريدين.. فلا بأس..

ولكن.

ـ بالطبع كنت سأسمح لك بقراءتها يا عزيزتي إلا انني وللأسف رميتها، فأنت تعرفين اشمئزازي من الاحتفاظ بأشياء لا لزوم لها.

صاحت بها شانا حتى قبل أن تنهي كلامها:

ـ عمتي! أنت اكثر النساء شغفاً الى ادخار الرسائل..

ـ لقد تغيرت عزيزتي، وبت أتلف رسائلي فور وصولها إلي. أنا لا أخفي عليك شيئاً فرسالة بيري كانت رداً عادياً على رسالتي. وقد ذكر فيها انه يسره أن يسمع أخبارنا، وأن نزوره.. إذا أردنا.. الوقت الذي نريد.

ـ ألم يذكرني؟

ـ طبعاً ذكرك.. قال إنه يتطلع شوقاً الى رؤيتك من جديد.

زادت العمة عن غير وعي كمية من السكر فوق فنجانها،

وشرعت تحركه ثانية، تحدّق بالدوامة التي أحدثتها الملعقة في الفنجان.. أما شانا فسمعت قلبها يخفق بسرعة متناهية فسألت:

ـ هل قال هذا؟

فسألتها العمة متجاهلة سؤالها:

ـ هل سترافقينني؟

أعقب كلام العمة صمت طويل، قطعته شانا أخيراً.

ـ لا أدري عمتي.. أحب أن أراه ثانية.. لكن..

ـ تحدثت الى السيدة ماكسويل عن الرحلة، فوعدتني بالاعتناء بالمنزل أما السيد بلايث فوعدني بالعناية بالحديقة.. إنه يعاني من البطالة بعد تقاعده ويجد أن في جني بعض المال عوناً له.

أجفلت شانا:

ـ لقد أعددت كل شيء. كيف لك ان تكوني واثقة متيقنة من موافقتي.

ـ لم أكن واثقة. بل متفائلة.. وبما أنك فتاة عاقلة عرفت أنك سترغبين البدء بحياة جديدة. أنت قادمة معي اليس كذلك؟

ترددت شانا قليلاً وهي تتصور اللقاء بينها وبين بيري الذي كان في ذروة الغضب يوم رحل بعيداً. ولكن مضى على ما حدث أربع سنوات.. وهو زمن كفيل بكسر حدة المرارة. الم يكتب الى عمتها رسالة يقول فيها إنه يتطلع شوقاً الى رؤيتها من جديد، وهذا خير دليل على نسيان الأسى.

وتطلعت الى عمتها ثم قالت:

ـ أجل.. أنا قادمة معك.

لم تضيع العمة لحظة من وقتها فلم يمضِ أسبوعان حتى كانتا على متن الطائرة.

وكانت شانا قد سألت دهشة قبل سفرهما بيوم وذلك إثر

www.rewity.com/vb ريما

عودتهما من برمنغهام حيث قامتا ببعض التسوق.

ـ ما هذه العجلة عمتي! كنت أعتقد أن شعارك في العجلة الندامة...

ـ لم يكن لدي من قبل ما يحدوني الى العجلة. أما الآن... ما ألذ المال! لن أقول لك كم ربحت من المال.. فلا تسأليني ثانية لأنني لن أضيف على أنها جائزة كبرى كلمة واحدة.

ضحكت شانا:

ـ هذا واضح.

ابلغت رب عملها بسفرها فوافق على ان يجد بديلة لها، إلا أنها لم تقل له كم هي مدة غيبتها، فإن حدثت معجزة ووجدت بيري ما زال على حبها باقياً فقد لا تعود ابداً.

سألت عمتها وكأنها تفكر في صوت مرتفع:

ـ كيف هي غريت سليف يا ترى؟

ـ ما أسعدني برؤيتك سعيدة! إنني أشعر بمتعة لأنني ألعب دور الجنية الراعية.

ـ انت رائعة عمتي.. ما رغبت في قبول كل ما قدمته لي. لكنك أمرتني بقوة حتى أشتري المزيد من الملابس الجميلة التي كلفتك مبلغاً هذا عدا تسريحة شعري الجديدة.

ـ أنت لم تذهبي الى مزين منذ سنوات.. وما كنت تجنينه من مال بعرق جبينك كان يطير في مهب الريح قبل أن يصل إلى يديك.

ـ وهذه الاحذية! لقد بت أملك منها عدداً لا أعرفه.

ـ آن لك هذا، مع انني لم أحب تلك الاخفاف الأوروبية الصنع.

ـ وفساتين السهرة.. اتساءل ما إذا كنت سأستخدمها فعلاً؟

ـ هي موجودة إن احتجتها.

ـ إنهم يقومون بحفلات خاصة طلباً للتسلية في تلك المزارع. إنها حفلات رقص وعروض لأفلام سينمائية، لقد قرأت الكثير عن حياتهم، مع انها تبدو حياة خشنة.

ـ ليتك تجدين فيها المتعة عزيزتي!

ـ طبعاً سأجدها! انت تعلمين مدى شغفي بالطبيعة، وبالعزلة والصمت والهواء النقي والمساحات الشاسعة المفتوحة.

كرّرت شانا السؤال الاول بعد ركوبها الطائرة:

ـ كيف هي غريث سليف يا ترى؟ قال لي بيري يوماً إنني سأحب منزله.

وصمتت لتحتفظ بالذكريات الأخرى لنفسها. ستكونين رابع عروس لمزرعتي.. هذا ما قاله لها قبل أن يضيف بلكنته المحببة.

ـ إلا أنك ستكونين أجملهن وأعظمهن رونقاً.

ردت العمة تتم عنها كلامها وتتحدث عن منزله.

ـ لا بد أن يكون منزله وبيري على هذا الثراء مميزاً. إن مربي المواشي هناك يقضون أكثر أوقاتهم خارج المنزل إلا أنني اتصور ان بيري سيسعى الى راحته في المنزل.

ـ سنعرف هذا عما قريب عمتي!

اللقاء...؟ لا بد ان يكون عند حدوثه مربكاً لهما. وكيف لا يكون ذلك والفراق كان غاضباً من جهته ودموعاً سخية من قبلها. فقد حنثت بوعدها الذي قطعته له. كانت قد وعدته بفسخ خطوبتها بتود لتتزوجه قبل أن يعود إلى نيوزيلندا وقد أسعده قولها وبدا في غاية السرور لأنه انتزع منها هذا الوعد. يومذاك بدا أصغر من عمره الذي لم يتجاوز التسعة والعشرين رغم بعض الشعر الرمادي على فوديه وبعض الخطوط حول عينيه، وكان يضحك قائلاً: إن عودته

برفقة عروسه ستكون مفاجأة كبيرة لهم جميعاً في دياره. خاصة وأنه لم يقض في انكلترا الا أسابيع قليلة.

ـ سأكون سعيدة بعد انقضاء الدقائق الأولى (هذا قالته لعمتها).

ـ هل أنت قلقة بشأن لقائه من جديد؟ ليس عليك أن تكوني قلقة عزيزتي ألم اقل لك إنه يتطلع شوقاً الى رؤيتك من جديد.

ـ بلى.. إنما... هناك ما يقلقني!

حين حطت الطائرة اخيراً مرت بهما رحلة طويلة عبر الجمارك بعدها استقلتا سيارة أجرة الى محطة القطارات التي عادت فاستقلتا فيها قطاراً متوجهاً الى كريستشرش. حيث التقاهما أحد موظفي مزرعة بيري، «بيتردين». بعد التعارف وتبادل الكلمات والأسئلة المهذبة، صعدتا إلى سيارته مبتعدتين عن محطة القطارات وكان بيتردين قد أبلغهما أن الرحلة ستطول ساعات حتى يصلوا الى مزرعة غريت سليف التي تقع في اليكسندرا وأضاف بيتر: سنصل إليها بعد الظهيرة غداً. الرئيس حالياً غير موجود في المزرعة ولكنه سيعود الى المنزل ظهراً ليرحب بكما.

* * *

٢ ـ أرض الأحلام

بعد أميال وأميال من السفر الطويل في عمق الاراضي النيوزيلندية التي كانت فيها الماشية ترعى، ورعاة البقر يبدون من بعيد كأنهم ملتصقين بأديم الأرض. اشار بيتر أخيراً الى منطقة حرجية برزت أمام الناظرين خلف تلة صغيرة، وقال باختصار:

ـ ها هو المسكن..

ثم زاد لا شعورياً سرعة السيارة فقد اخذ منه التعب بعد هذه المسافة الطويلة كل مأخذ وقد بدا ذلك في نبرة صوته، وفي تثاؤبه بين الحين والآخر وفي عينيه المتعبتين من وهج الشمس وجبينه المتصبب عرقاً.

المسكن.. إنهم يدنون منه. رأت شانا أن له اطلالة مبهجة، ونباتات متعرشة تتربع على جدرانه مضفية عليه مظهراً فاتناً ملونا. المبنى واسع كبير، تظهر عليه آثار السنين التي تجاوزت المئة وعشرين سنة والحدائق تحيط به من كل جهة وقربها أراضٍ وأراضٍ لا تنتهي تقف أمامها جدرانه الملوحة القابعة تحت النباتات المتعرشة الممتدة إلى سطح الأرض.

كانت أشجار «البونسيتا» ذات الأوراق الحمراء القرمزية الملتفة حول أزهارها البارزة الى الأمام تشكل بقعاً من الألوان منتشرة في كل مكان أما اشجار نخيل البالم المروحي الاغصان واشجار الآس

الصمغي فيشكلان سياجاً حرجياً طبيعي يحدق بالمنزل ويحميه من الريح والشمس. من الناحية الغربية للمنزل بعيداً عنه قليلاً، تقوم بيوت الرعاة والموظفين وفي الجهة الشمالية منه ثمة قسم «حرس الجبال» التابع للدولة، فعلمت شانا أن لكل مزرعة من هذه المزارع المترامية الأطراف في نيوزيلندا نظاماً إدارياً تابعاً للدولة خاصاً بها. وان مزرعة غرين سليف ينطبق عليها أيضاً هذا النظام، لأنها تأوي عدداً كبيراً من العائلات تعيش في مساكن يستطيع ساكنوها أخذ ما يريدون من حليب وخضار ولأن لها مدرسة ومحلاً تجارياً وتسهيلات للاستجمام والراحة وتنقلات مجانية إلى أقرب بلدة لتسهيل عملية شراء ما يلزم مما ليس موجوداً في دكان القرية وفي غرين سليف طبيب أرمل، استدعي قبل سنتين حين كان في رحلة استكشافية في المنطقة التي أقام فيها أسبوعاً قبل أن يعود الى بلده لتسوية بقية أعماله، وقد حدث بعد أن أنهى ما عليه من التزامات أن عاد إلى القرية الصغيرة ليتولى الطبابة بناء على طلب من بيري لونغ وهو الآن نصف متقاعد!

حين خرجت العمة من السيارة تمطت ثم تثاءبت:

ـ ها قد وصلنا أخيراً! لا أطلب الآن أكثر من حمام وفراش.

ترجلّت شانا أيضاً فأسر انتباهها مارد طويل نحيل كان يهبط درجات الشرفة الامامية بحركات طفل في العاشرة. قطع المسافة القصيرة التي تفصله عن زائرتيه برشاقة، فاكتشفت شانا انها ترتجف، وأن اعصابها تتشتت وسيطرتها تفلت من زمام نفسها. لقد تغيّر.. كان انطباعها الأولي هذا مخيباً لآمالها فالسنوات العابرة طبعت على قسماته خشونة تذكر انها قاسية، ليس إلا. وبدا فمه أرق، وعيناه الرماديتان أكثر حدّة ونفاذاً، والخطوط حولهما أشد بروزاً على بشرة ذهبية لماعة. أما الشيب على فوديه فقد زادته

السنين قليلاً.

ـ بيري...!

خرج اسمه لا إرادياً من فمها. لا يبدو أن شيئاً في مشاعرها تغير. إنها الآن في هذه اللحظة قد تذوب دون وعي بين ذراعيه.. لا.. لا شيء في مشاعرها تغير، على الرغم من تغيير بيري السطحي... مدت يدها بلهفة وشوق الى يد بيري السمراء القوية:

ـ ما اشدّ سروري برؤيتك ثانية.

ولكنه لم يرد عليها الابتسامة.. فحدقت إليه حائرة. حالما سحب يده من يدها التفت إلى عمتها قائلاً:

ـ لعلك أمضيت رحلة ممتعة سيدة جيليس؟

ـ كانت ممتعة.. ومثيرة! ما أروع موافقتك على استقبالنا يا بيري.. اتمانع ان اناديك بيري؟ فمناداتك بالسيد لونغ رسمية للغاية.

ـ لا مانع لدي أبداً.. والآن.. تفضلا لتناول الطعام والشراب.. فانتما دون شك بحاجة الى بعض المرطبات سترافقكما إحدى الخادمات إلى غرفتيكما اللتين أرجو ان تعجبكما.

ردت شانا التي غدت فجأة مصممة على جذب اهتمامه:

ـ نحن على يقين من هذا.

التفت إليها لينظر إلى عينيها البنفسجيتين فلما رأى نظرة الارتباك فيهما، قطب جبينه قليلاً وكأن فكرة ما عنت على باله.

ـ كيف حالك هذه الايام شانا؟ أطلعتني عمتك على ترملك. أقدّم لك تعازي.

لم يكن في صوته أو نظرته دليل على تعاطفه بل بدا لها من المستحيل أن يكون هذا الرجل احتواها يوماً بين ذراعيه وجعلها تلمس حبه وتملكه. فجأة أحست أنها تود الرحيل فما هذا بالتصرف

المرجو من رجل كتب في رسالته أنه يتطلع شوقاً إلى رؤيتها ثانية.

ـ أنا بخير.. شكراً لك بيري.

أطلت عليهما فتاة سمراء تقف في الشرفة وكأنها تنتظر شيئاً، فأضافت شانا بسرعة:

ـ أتنتظرنا هذه الفتاة؟

التفت بيري ثم هزّ رأسه إيجاباً فهذه المرأة تنتظر إرشاد السيدتين إلى غرفتيهما.

ـ إذن سأذهب.. اذا كنت لا تمانع؟

خرجت منها هذه الكلمات بتحفظ وتباعد ثم وقبل أن تترك مجالاً له للرد تركته وعمتها معاً، وانضمت الى لونا، التي اقتادتها من غرفة جلوس مجهزة بعناية وروعة الى ردهة عالية السقف فيها درج هلالي عريض يفضي الى غرفة نوم تطل على الحديقة الأمامية.

سألتها الفتاة مبتسمة:

ـ أهناك شيء آخر تريده الآنسة؟

ـ حقائبي.

ـ إنها في غرفة الملابس.. سأفرغها اذا شئت؟

هزت شانا رأسها وهي تنظر الى باب مغلق داخل الغرفة.

ـ لا شكراً لك.. سأقوم بهذا العمل بنفسي.

حين خرجت الفتاة، تقدمت شانا من الباب المغلق ففتحته. كانت حقائبها موضوعة على كرسي خشبي سنديانى مرتفع. في الغرفة الفخمة خزانة وطاولة زينة، التقطت منها احدى الحقائب وحملتها الى غرفة النوم فوضعتها على السرير ثم فتحتها. كانت عيناها مظلمتين بالدموع وهي تفرغ الحقيبة بشكل آلي، لم تكن تفعل ذلك إلا لتشغل بالها بما يبعدها عن التفكير باللقاء البارد

الذي تلقته من بيري.

اكتشفت أنها باردة وأن يديها وجبهتها باردتين أيضاً، فارتجفت متمتمة:

ـ ما كان يجب أن آتي!

أحست أن لديها عوارض الانفلونزا، ولكنها كانت تعلم ان الأمر نفسي لا جسدي...

ـ لا.. ما كان يجب ان آتي.

كانت النافذة مفتوحة على مصراعيها تتلاعب الريح بالستائر الجميلة فتحملها الى داخل الغرفة. تقدمت تغلقها إلا أنها توقفت قبل ان تصل اليها إذ كانت الآن تشرف من حيث تقف على المكان الذي وقفوا فيه جميعاً ساعة وصولهم، وها هي العمة وبيري لا يزالان يتحدثان فسمعت عمتها تقول:

ـ لا تقدّم أي تبرير يا بيري... أعتقد أنه كان عليك ان تكون ألطف بعض الشيء في معاملتها.

ـ سيدة جيليس.. ألم أطلب منك عدم اصطحابها معك. لقد سألتني في رسالتك إن كنت أرحب بك ضيفة عندي وذلك بعد أن شرحت لي رغبتك في السفر مع شانا التي تعيش معك منذ ترملها وسألتني اذا كان بإمكانك اصطحابها معك. وقد أجبتك عن رسالتك بكلمات واضحة سيدة جيليس تفيد أنني أرحب بك دونها وكنت قد قررت بعد لأي تفكير ألا أقبل بها ضيفة عندي. وعندما وصلني خطابك الثاني بدوت متفهمة طلبي ولكنك قبل سفرك مباشرة كتبت تخبرينني بأنك ستصطحبين شانا معك لأنك لم تستطيعي تركها وحيدة.

ـ منزلي يقع في بقعة منعزلة بيري.

ـ هذا لا يعنيني سيدة جيليس إلا أنني للأسف لم أجد متسعاً

من الوقت للرد على رسالتك الأخيرة.. لو سنح لي الوقت لقلت لك بشكل حازم انني لا أرحب بشانا ضيفة في منزلي.

ارتدت شانا الى الوراء وقد ابيضت شفتاها ووهنت ساقاها فوضعت أصابع مرتجفة على جبهة مبللة تحس بألم يلمع في رأسها، يمتد إلى لحاظ عينيها.. وانطلقت الدموع...

كانت كلمات عمتها لا تزال تصل اليها بوضوح من حيث يقفان.

ـ أفهم شعورك.. فقد آلمتك شانا كثيراً.

حاولت شانا التراجع إلا أن ساقيها لم تطيعاها فسمعت صوت بيري بصوت أجش، تطغى عليه مرارة حقيقية:

ـ لقد رمت بي بعيداً عنها سيدة جيليس.. بعد أن وعدتني بالزواج.

ـ كان هذا في الماضي بيري... لقد احببتها مرة..

أصبح هدف العمة واضحاً.. فقد تعمدت الكذب لتقنع شانا بأنه يرحّب بها في «غريت سليف».

ـ كان هذا مرة...

ـ وبإمكانكما البدء من جديد.

أحست شانا بالحرارة تحل مكان البرود.. لماذا لا تتقبل عمتها الحقيقة فتدع الامر وشأنه؟

ـ لا أستطيع البدء من جديد! أولاً لأنني لا أرغب في ذلك، وثانياً لأن لي خطيبة.

ـ خطيبة...

تحركت الآن شانا باتجاه السرير وشرعت تغلق آلياً حقيبتها التي وضعتها على الأرض، ثم خلعت حذاءها واستلقت على الفراش، تضغط جبينها المتألم على الأغطية الباردة. وهطلت

دموعها دون تحفظ دقائق حتى ادركت انها بللت أغطية الفراش الجميلة. فنهضت، تكره ضعفها وتزجر نفسها وتدفعها إلى أن تستعيد شتات ذاتها بعد الضربة التي تلقتها أحلامها بعودة المياه الى مجاريها مع بيري.

دخلت الحمام لتستحم.. ثم خرجت لترتدي أجمل أثوابها.. وكان فستاناً من القطن المزين بالرسوم، اشترته خصيصاً للجو الحار. ساعد مظهره المنعش وألوانه النضرة على رفع روحها المعنوية كما آزرها الماكياج الذي زينت به خديها وشفتيها. لذلك بدت حين انضمت الى عمتها وإلى بيري الرابط الجأش متماسكة الأعصاب.

كانت مسرورة لأنها سمعت الحديث الذي جرى، ذلك أنها منذ الآن فصاعداً ستكون حذرة لئلا تتعرض لخطر التودد الزائد له ولئلا تتركه يعرف ما في قلبها من مشاعر. كانت تتمنى طبعاً لو تغادر المكان حالاً إلا أن هذا مستحيل وليس عليها إلا أن تتبنى تصرفاته فتعامله ذات المعاملة التي اتخذها. اما بالنسبة للعمة فرغم احتقارها لتآمرها، فتعترف بأن نواياها كانت طيبة شريفة ولذلك قررت ألا تظهر أمامها التعاسة التي خلفتها في قلب ابنة أخيها كما رأت ان أبسط الطرق لإراحة عمتها أن تقول إنها بعد مقابلة بيري أحست إن كل ما كانت تشعر به تجاهه قد ولّى! ما أصعب ما سيكون عليها التلفظ بهذه الكذبة.

غير أنها عازمة على ذلك لأن عمتها ساعتئذ لن تلوم نفسها على فعلتها فتستطيع التمتع بعطلتها. إنها الآن لا تتمنى إلا أن تفقد عمتها الرغبة في البقاء وذلك لئلا تتحمل عذاب رؤية بيري يومياً أو تضطر الى التصرف وكأنها لا تضمر له شيئاً.

حين دخلت غرفة الطعام، أخبرها بيري فوراً:

ـ إن العمة تستريح، لقد أرسلت إليها بضع سندويشات وابريق شاي.

ثم جذب لها بتأدب كرسياً لتجلس عليه، فشكرته بطريقة جافة باردة توازي طريقته ولكنها لم تنسَ أن تضع على شفتيها ابتسامة مع أن نصلاً حاداً كان يدور في قلبها فيمزقه.

ـ أتعبتها دون شك الرحلة الطويلة، ستكون على ما يرام حين تنام قليلاً.

غير أن بيري لم يكن يصغي إليها بل كان يوجّه اهتمامه الى أوراق موضوعة أمامه. عندما قدم الحساء وجدت شانا نفسها لا ترغب فيها أبداً.

فلما لاحظ بيري ان ضيفته وضعت ملعقتها من يدها وتراجعت الى الوراء سألها بقلق:

ـ أهناك شيء خاطىء؟

ـ لا.. إنه لذيذ. ولكنني لا أشعر بالجوع.. هذا كل شيء؟

احست أنها دخيلة، ضعيفة، ضيفة غير مرحب بها في منزله.

ـ أتودين شيئاً آخر؟ عصير البرتقال؟ كوكتيل فاكهة؟

هزت رأسها:

ـ لا.. شكراً لك بيري.. سأتناول قطعة لحم، وبعض الخضار.

لم تكن ترغب واقعاً في شيء. إلا أنها تعرف أنه سيصر على ان تتناول الطعام وإن أصرت على الرفض يحس بأنها غير مرتاحة أو مستأنسة، وربما إن صدق مع ذاته اعترف بأن عدم استئناسها يعود عليه. ويبدو أن هذا ما شعر به فعلاً.. فقد راح يوليها اهتمامه، فوضع الأوراق جانباً.. وسألها بعد عشر دقائق من محادثة عادية:

ـ كم ستمكثان في منزلي؟

ـ ليس لديّ فكرة في الواقع فأنا... نحن.. لا نريد إقلاق راحتك بيري.. لذلك يجب ان تخبرنا حين نثقل عليك بوجودنا وتشعر بأنك لا ترحب بنا.

هل اجفله ما سمع؟ آه ليتها لم تذكر هذه الملاحظة، فهما في كل الأحوال قد وصلتا منذ برهة لذا ليس طبيعياً أن يصدر عنها هذه الملاحظة.

ـ نحن عادة نترك زائرينا يقررون مدة مكوثهم.

ـ نحن؟

أفلتت الكلمة من فم شانا قبل أن تفكر فيها. إنها دون شك تفكر في خطيبته. ولكن أتشملها لفظة نحن هذه التي تفوه بها؟ لا، لا يمكن فخطيبته لا تعيش في منزله.

ـ نحن الرعاة والمزارعين نرحب بالزائرين الذين يأتون إلينا بشكل دائم فالسواح حين يفدون علينا يطلبون مضجعاً يبيتون فيه ليلتهم أو مكاناً يستريحون فيه من عناء السفر أو مساعدة ليشيدوا مخيماً، وهناك من السواح من يأتي حباً بنمط حياتنا أو سعياً للانتقال من جانب البلاد الى الجانب الآخر.

تلاعبت شانا باللحم أمامها:

ـ فهمت... أليس لديك ضيوف آخرون في الوقت الحاضر؟

ـ لا.. إنما بعد اسبوعين سيكون لدينا طالبان من كلية الزراعة الواقعة في كريستشرش. والطلاب عادة يفدون علينا بشكل دؤوب ليتعلموا كيف يطبقون ما يتعلمونه نظرياً على أرض الواقع.

ـ أهم من الرجال؟

ـ أجل. وقد يصلنا في بعض الأحيان طالبات.

ـ إن مهنتهم هذه دون شك مثيرة للاهتمام.

ـ إن العمة تستريح، لقد أرسلت إليها بضع سندويشات وابريق شاي.

ثم جذب لها بتأدب كرسياً لتجلس عليه، فشكرته بطريقة جافة باردة توازي طريقته ولكنها لم تنسَ أن تضع على شفتيها ابتسامة مع أن نصلاً حاداً كان يدور في قلبها فيمزقه.

ـ أتعبتها دون شك الرحلة الطويلة، ستكون على ما يرام حين تنام قليلاً.

غير أن بيري لم يكن يصغي إليها بل كان يوجّه اهتمامه الى أوراق موضوعة أمامه. عندما قدم الحساء وجدت شانا نفسها لا ترغب فيها أبداً.

فلما لاحظ بيري ان ضيفته وضعت ملعقتها من يدها وتراجعت الى الوراء سألها بقلق:

ـ أهناك شيء خاطىء؟

ـ لا.. إنه لذيذ. ولكنني لا أشعر بالجوع.. هذا كل شيء؟

احست أنها دخيلة، ضعيفة، ضيفة غير مرحب بها في منزله.

ـ أتودين شيئاً آخر؟ عصير البرتقال؟ كوكتيل فاكهة؟

هزت رأسها:

ـ لا.. شكراً لك بيري.. سأتناول قطعة لحم، وبعض الخضار.

لم تكن ترغب واقعاً في شيء. إلا أنها تعرف أنه سيصر على ان تتناول الطعام وإن أصرت على الرفض يحس بأنها غير مرتاحة أو مستأنسة، وربما إن صدق مع ذاته اعترف بأن عدم استئناسها يعود عليه. ويبدو أن هذا ما شعر به فعلاً.. فقد راح يوليها اهتمامه، فوضع الأوراق جانباً.. وسألها بعد عشر دقائق من محادثة عادية:

ـ كم ستمكثان في منزلي؟

ـ ليس لديّ فكرة في الواقع فأنا... نحن.. لا نريد إقلاق راحتك بيري.. لذلك يجب ان تخبرنا حين نثقل عليك بوجودنا وتشعر بأنك لا ترحب بنا.

هل اجفله ما سمع؟ آه ليتها لم تذكر هذه الملاحظة، فهما في كل الأحوال قد وصلتا منذ برهة لذا ليس طبيعياً أن يصدر عنها هذه الملاحظة.

ـ نحن عادة نترك زائرينا يقررون مدة مكوثهم.

ـ نحن؟

أفلتت الكلمة من فم شانا قبل أن تفكر فيها. إنها دون شك تفكر في خطيبته. ولكن أتشملها لفظة نحن هذه التي تفوه بها؟ لا، لا يمكن فخطيبته لا تعيش في منزله.

ـ نحن الرعاة والمزارعين نرحب بالزائرين الذين يأتون إلينا بشكل دائم فالسواح حين يفدون علينا يطلبون مضجعاً يبيتون فيه ليلتهم أو مكاناً يستريحون فيه من عناء السفر أو مساعدة ليشيدوا مخيماً، وهناك من السواح من يأتي حباً بنمط حياتنا أو سعياً للانتقال من جانب البلاد الى الجانب الآخر.

تلاعبت شانا باللحم أمامها:

ـ فهمت... أليس لديك ضيوف آخرون في الوقت الحاضر؟

ـ لا.. إنما بعد اسبوعين سيكون لدينا طالبان من كلية الزراعة الواقعة في كريستشرش. والطلاب عادة يفدون علينا بشكل دؤوب ليتعلموا كيف يطبقون ما يتعلمونه نظرياً على أرض الواقع.

ـ أهم من الرجال؟

ـ أجل. وقد يصلنا في بعض الأحيان طالبات.

ـ إن مهنتهم هذه دون شك مثيرة للاهتمام.

لم تكن تلك المحادثة إلا سبيلاً إلى تمضية الوقت بين غريبين تقريباً. . كان بيري قد قال لها بحنان في الماضي إنها ستكون عروس المزرعة الرابعة وإنها ستكون أجملهن وأحبهن إلى قلوب الجميع.

عادت أفكارها إلى خيارها الذي اتخذته والذي حرمها من بيري وحرمه منها ثم لم تلبث أن عادت إلى الرحلة وآمالها الواهية التي تحطمت على صخور الحقيقة بعد دقائق من وصولها. بيري يوشك على الزواج من فتاة أخرى مما يعني أن لا مكان في المزرعة للفتاة التي احبها، يوماً. أو لذكريات أليمة غابرة كانت تجعلها الآن ترتجف.

قال بيري وهذا ما أدهشها.

ـ هل أنت بخير شانا؟ أنت شاحبة جداً. وتبدين. . متضايقة بطريقة ما؟

كيف ترد على هذا السؤال؟ عليه ألا يكتشف الحقيقة. لقد مات حبه لها، ويجب ألا يعرف أن حبها ما زال على عهده.

ـ لست على طبيعتي منذ وفاة تود. . .

ولم تكن تكذب. . فتوتر السنوات الطويلة الخالية من الشكر والامتنان ازداد بعد وفاة زوجها وقد ذكر الطبيب لها أن ما تشعر به ردة فعل طبيعية.

سمعت صوتاً موجزاً مؤدباً، ولمحت عينين ضيقتين:

ـ لقد مرَّ على وفاته ستة أشهر.

ومد يده الى طبق فضي أفرغ منه بعض السلطة في صحن فصمتت شانا لحظات تراقبه سعياً الى تغيير دفة الحديث.

ـ هذا صحيح. . . هل تزرع كل هذا بنفسك؟

نظر اليها مقطباً وقد اعتلت وجهه الحيرة بسبب هذا السؤال

الذي لا علاقة له بموضوع حديثهما أبداً.

ـ نحن في الواقع نعتمد على أنفسنا هنا. . أجل. . وهذا ضروري فأقرب بلدة منّا تقع على بعد سبعين ميلاً.

ـ أهي بعيدة إلى هذا الحد؟ أعلم أن المزارع بعيدة جداً عن بعضها بعضاً.

ـ إن اقرب جار لي تقع مزرعته على بعد مئة ميل قريباً من بحيرة إليكسندرا.

علمت شانا بالبديهة ان هذه المزرعة التي يتحدث عنها هي موطن خطيبته فسألته:

ـ وهل أصحابها أصدقاء لك؟

تردد قليلاً ثم قال ينظر مباشرة إليها:

ـ ابنة صاحبها. . خطيبتي!

أطلقت شانا تنهيدة لم تستطع كبحها تمكنت بعدها من القول:

ـ خطيبتك! ما أروع ما أسمعه. . أنا. . أنا مسرورة بيري. . .

ـ شكراً لك.

ـ وهل الزمان وشيك؟

ـ تقريباً.

دفعتها رغبة خارجة عن إرادتها إلى أن تسأله عن خطيبته.

ـ أهي سمراء أم شقراء؟

وكأن اهتمامها سلاّه، فتألمت لذلك.

ـ إنها سمراء بقدر ما انت شقراء.

ـ سمراء! . .

لم تتصور قط أن يحب سمراء.

ـ شعرها أسود، عيناها بنيتان. . .

توقف. . ثم ضحك:

ـ أنت لا تريدين معرفة المزيد عنها، أليس كذلك شانا؟ لا أحسبك تهتمين بمعرفة فتاة أوشك على الزواج بها.

احمر وجهها برقة، وعادت تعبث بالطعام.

ـ لا.. أنا آسفة.. كان فضولاً ليس إلا.

ـ ستقابلين سندي ووالديها قريباً، فهم قادمون لقضاء يومين هنا. وسيكون هناك آخرون كذلك، فسأقيم حفلة وفي الليلة التالية سنعرض فيلما. فنحن نصنع تسليتنا بأنفسنا، فهل تعرفين عاداتنا؟

ـ أجل أعرف.

ما أملّ هذا الحديث إن قارنته بالمواضيع التي كان يتطرقان إليها في الماضي حيث كان ينسيان مرور الوقت كان يقول لها: «سأعوضك عن كل هذا حين نصبح في المزرعة.. سنجلس معاً بعد العشاء، على الشرفة في الهواء البارد لنتسامر» ولكن ذاك الحديث كان في الماضي البعيد.

حينما انتهت وجبة الطعام شعرت بالراحة ذلك أنها تستطيع الآن الانسحاب. راقبته وهي في غرفتها يتجه نحو ريك الخادم الذي كان يمسك له حصاناً كستنائياً كبيراً، علمت فيما بعد أن اسمه (فايتر) أي المقاتل، ثم راحت عيناها تتأملان الفرس وفارسها حتى اختفيا في المراعي البعيدة.

ابتعدت عن النافذة. لن تقدر على الاحتمال أو الاستمرار بل لن تسمح لتفكيرها بأن يبحث عما كان من الممكن ان يكون... لقد ضاع بيري إلى الأبد لها، ويجب أن تعتبره شخصاً عرفته في ماضيها. شخصاً كان لطيفاً معها بشكل غير عادي ثم أصبح غير مهم في حياتها.

ذهبت إلى غرفة عمتها تقرع عليها الباب:

ـ ادخل؟

ـ عمتي. هل أنت أفضل حالاً الآن؟ هل أيقظتك من النوم؟

ـ لا يا عزيزتي.. لم أكن نائمة.. شانا.. يا طفلتي العزيزة لا تعلمين شدة ندمي على اصطحابك إلى المزرعة. هل أخبرك بيري شيئاً عن نفسه؟

ابتسمت شانا ابتسامة مشرقة.. زائفة:

ـ أخبرني بأمر خطوبته.

نظرت اليها العمة بذهول:

ـ لا تبدين منزعجة من هذا الخبر ابداً.

ـ لا.. لست منزعجة. غريبة حياتنا يا عمتي، فنحن نحتفظ في ذاكرتنا بصورة ما سنوات وسنوات، أتعتقدين أن هذه الصورة لم تتغير وأنها ستكون على ما هي عليه حين نلقاها ثانية؟ بعد لقائي ببيري وجدت أنني ما عدت منجذبة إليه كما كنت.

حدقت فيها العمة من موضعها على السرير.

ـ أتقولين الحقيقة شانا؟

ـ عمتي.. لقد ولى الأمر بكل بساطة. أعجبني بيري يوماً ليس إلا.

تنهدت العمة بعد أن أمعنت النظر قليلاً بوجه ابنة أخيها.

ـ يا لهذه الراحة.. ليس لديك فكرة عما كانت عليه حالتي حين علمت بامر خطوبته.. ذكر أمامي الخبر بعد أن تركتنا وقد شعرت عندئذ بأنني عليلة من الذنب. وما ذلك إلا لأنني ألححت في طلبي وأصررت عليك حتى تريه بعد هذه المدة. أترين.. اعتقدت أنه ما زال على حبك باقياً. لم أستطع حضور الغداء.. لم استطع مواجهتك.. ولكن بما انك شفيت من حبه، فلا سبب يجعل ضميري يتألم، ومع ذلك آسف على هذا الوضع لأنكما لطيفان وطيبان غير أنني لا أرجو إلا أن تكون خطيبته امرأة

مناسبة له.

ـ لن يختارها إن لم يكن واثقاً منها عمتي.

ـ لا أعتقد هذا.. حسناً.. نحن الآن هنا.. وليس علينا إلا التمتع بعطلتنا.

نظرت شانا اليها بمحبة:

ـ فعلت كل ذلك من أجلي.. أليس كذلك؟ أنت رائعة عمتي.. وأنا سعيدة بوجودي معك.

وتهدج صوت عمتها من التأثر وهي ترد:

ـ وأنا كذلك سعيدة، لأنك معي عزيزتي..

ثم قامت:

ـ إلا أنني لن أكون أسعد إلا حينما تستقرين. فلن أدوم لك. حين نعود الى الوطن، يجب عليك حقاً ان تفتشي عن زوج صالح خاصة بعد أن ولّى حب بيري من قلبك.

هزت شانا رأسها موافقة، ثم استدارت نحو الباب وقالت مبتسمة ابتسامة قسرية:

ـ سأقوم بنزهة.. أراك ساعة الشاي.

* * *

٣ ـ حروب النظرات

استيقظت شانا فجراً على صياح الديكة وزغردة العصافير، وصيحة طير شبيهة بضحكة إنسان. قفزت الى النافذة علّها تشاهد بعض الطيور ولكنها في البدء لم توفق ثم لم تلبث أن رأت بعضها تغادر أعشاشها القابعة على قمم الشجر. كما رأت ببغاء ملوناً ما كانت لتلاحظ ألوانه الشبيهة بالوان الشجرة لولا ابتعاده عنها.

وجدت نفسها تتجاوب مع الطبيعة المبتسمة حولها:

ـ حسناً تصوروا هذا.. إنها أفضل من منّبه!

راحت ترسل الشمس شلالاً ذهبياً على الاراضي الحرجية الواسعة وعلى سفوح الجبل البعيدة. كان المنظر المترامي أمامها يمتد حتى اقدام الجبال حيث تغتسل الآن تحت أشعة الشمس الصاعدة الى كبد السماء. يا لهذه الأرض! إنها جميلة رغم خشونتها تمتلك الجمال والجاذبية الخاصة بها وهي دون شك أرض خلقت للرجال. إنها أرض المقاتلين القساة الذين يستطيعون تحمل معركة البقاء ضد عدائية الطبيعة.

تحولت أنظار شانا الى بيوت الرعاة المرتبة الجميلة الغنية بالألوان والحدائق الساحرة ففي القرية بحسب ما قالته عمتها مدرسة وأكثر من حانوت ومطار تقلع منه الطائرات إلى مدينة كريستشرش التي تعتبر من أهم مدن البلد.

قال ليلة أمس للعمة:

ـ إذا أرادت أي منكما الذهاب الى المدينة للتسوق أو للتفرج أصطحبها معي بكل ترحاب، فسأذهب الى كوينس تاون بعد ثلاثة أسابيع.

لم تكن سهرة امس مملة، نعم هي لا تنكر أن بيري ركزّ اهتمامه ووجّه أحاديثه إلى العمة ولكنها كانت قانعة بالسمع فقط.

لاحظت أنه مرة أو مرتين صبّ اهتمامه عليها وكان بين الفينة والأخرى ينظر إلى وجهها فتتوق الى أن تشاهد من جديد ابتسامة من ابتساماته التي ما زالت حية في ذاكرتها والتي كانت لها في سنوات محنتها ملاذاً حبيباً إلى قلبها.

بعد أن استحمت شانا ارتدت ملابسها وتوجهت الى غرفة الفطور التي ارتها اياها لونا يوم أمس. كان بيري هناك، يقف منتصباً، طويلاً قرب النافذة. ينظر بعيداً الى قطيع من الماشية يرعى في السهول التي لا نهاية لها حين أحسّ بها استدار قليلاً سامحاً لعينيه بالاستقرار على وجهها قبل أن يسأل بأدب:

ـ هل نمت نوماً مريحاً؟

ـ أجل.. شكراً لك بيري، فغرفكم تسر القلوب ومنزلك جميل بيري!

أعقب قولها هذا صمت مطبق أحست خلاله أن لونها يشتد احمراراً. إذ كانت عيناه تقولان إن هذا المنزل الذي أعجبها، كان يمكن ان يكون لها، فأشاحت ببصرها عنه، تحس بغصة تتجمع في حنجرتها.. قالت وهي لا تنظر اليه:

ـ سأصعد لأرى عمتي.. كان يجب ان تنزل الآن، فهي تستيقظ باكراً عادة.

قاطعها بيري بهدوء:

ـ دقت عمتك الجرس للونا، وطلبت الفطور لتتناوله في السرير.

قطبت شانا:

ـ ليست العادة التي تتبعها. إنها دون ريب مريضة، ليتك تعذرني بيري.

ـ بكل تأكيد لقد بدت للونا على ما يرام.

ردت بارتياح متسائلة:

ـ صحيح؟ ربما هي متعبة إذن.. ومع ذلك سأتفقد صحتها للاطمئنان.

وكان رد عمتها حين سألتها بقلق:

ـ لا يا عزيزتي.. أنا لست مريضة، ولكنني أحسست بصداع بسيط. فلما طلبت من لونا حمل الماء إلى غرفتي لأتجرع حبة دواء تخفف الصداع عرضت عليّ إحضار الفطور إلى الفراش. فقررت أن أدلل نفسي، فأنا هنا في عطلة أليس كذلك؟

ـ طبعاً حبيبتي.. وهل ستنهضين قريباً.

ـ أوه طبعاً.. لا أريد أن يمضي وقتي هباء، فأنا عازمة على التجول والتمتع بالمناظر. من الافضل ان تنزلي الآن عزيزتي، لأنني لا أحسب بيري يقدم على تناول فطوره بدونك.

بعد دقائق كانت جالسة قبالة بيري تتمتع بفطورها وقال لها دون ان تتوقع:

ـ إذا شئت القيام بنزهة على ظهر الخيل شانا فاتخذي لك جواداً من المزرعة.

ـ أخالني سأحب امتطاء الخيل شكراً لك بيري.

ـ سأطلب من ريك أن يختار لك فرساً. ولا أحسبه سيختار لك إلا أونو الفرس الرمادية الجميلة الهادئة. ولكن رجاءً لا تجعلي

المنزل يغيب عن ناظريك، هذا أمر لا نصيحة.. اتفهمين؟

هزت شانا رأسها.

ـ أجل طبعاً.

ـ قد تتعرضين للخطر إذا توغلت في الأحراج والأدغال راكبة كنت أو ماشية. فإذا قررت وعمتك القيام برحلة الى المرتفعات فأعلماني لأبعث معكما من يرافقكما.

ـ أشكرك بيري شكراً جزيلاً.

وابتسمت له، ولكنها كالعادة لم تتلق رداً. فأكملت:

ـ بت أحب التنزه مشياً منذ انتقالي الى منزل عمتي.

ـ أما كنت تتنزهين من قبل؟ لقد قالت عمتك إنك لم تخرجي كثيراً إلا إلى عملك.

قطبت شانا، متسائلة عما كشفت عمتها من أوراق حياتها.

بقي ينظر اليها وكأنه يتوقع المزيد من التعليق غير أنها لاذت بالصمت الذي لم يقطعه إلا اعتذار مهذب منه ذكر فيه أنه سيراها وعمتها وقت الغداء.

ولكنها شاهدته قبل هذا، فحين خرجت لتأخذ الفرس وجدته يتحدث الى عامل المخيم، فقالت بعد أن توقف الرجلان عن الحديث:

ـ جئت لآخذ الفرس.

فسارع ريك يقول:

ـ سأحضرها لك بلمح البصر آنسة.

وسألته شانا معتذرة وعيناها البنفسجيتان شاخصتان الى وجهه:

ـ هل جئت في وقت غير ملائم؟

ـ ابداً.. لا يهم متى تأتين. قلت لريك أن يتوقع مجيئك في أي وقت.

وكان عليها ان تتحدث بما يبعد الصمت عنهما.

ـ ألن تمتطي فرسك اليوم؟

ـ فيما بعد، لدي اعمال أنهيها..

وأتكأ على الباب واضعاً أصابعه تحت حزامه.

ـ لا بد أنه عمل رائع، أقصد العمل في الأرض.

ـ إنه مثير للاهتمام.

بعد رده المقتضب، ساد صمت آخر. قطعه ريك حين عاد ممسكاً بلجام الفرس التي ركبتها شانا وعينا بيري النافذتين تراقبانها أمام دهشتها، اجفلت الفرس قليلاً.. فنظرت شانا الى بيري متسائلة عن تأكيداته السابقة التي ذكر فيها أن أونو فرس هادئة. قال ريك مقطباً:

ـ هذا غريب!

أما بيري فعلّق على ما حدث وهو مقطب.

ـ لم يمتطها احد منذ فترة.

ولم تكن شانا قد اعتلت صهوة جواد منذ أربع سنين ففكرت في أن ارتباكها اللاوعي انتقل الى الفرس. وما استغربته أن بيري قرر مرافقتها.

فنظرت اليه وقد تفاقم ارتباكها:

ـ كيف؟ لديك أعمال أهم من مرافقتي؟

ـ فلتنتظر الأعمال ساعة. ريك احضر لي «فايتر».

ـ حاضر سيدي.. دقيقة فقط!

بعد أقل من خمس دقائق على انطلاقهما استكانت الفرس فتوقعت شانا مقطوعة الانفاس أن تسمع بيري يقول إنه سيتركها الآن وحدها. ولما مرت بخمس دقائق أخرى تنفسّت الصعداء..

امتدت نزهتهما إلى طريق ضيقة تقع في دغل بعيد عن

المزرعة. وكان بيري يعرف الارض كظاهر يده ولكن المكان كان بالنسبة لشانا غريباً مخيفاً فقد ارتجفت حين فكرت في أن تجد نفسها ضائعة في مثل هذا القفر المتوحش.

سألها بيري بأدب عندما نظر إليها وهما يسيران جنباً الى جنب فوق صهوتي جواديهما.

ـ كيف تبدو لك بلادنا؟ أم لعل الوقت مبكر على اتخاذك انطباعاً.

ردت شانا على الفور:

ـ إنها بلاد مخيفة.

ـ مخيفة؟

ـ أعتقد أن إحساسي هذا مرده إلى المساحات اللامحدودة والعزلة التي تجعلني أشعر بالرهبة.. فالمكان هنا غير مأهول.. أعني هذه الاراضي الواسعة..

ـ اذن أنت لم تتأثري أيجابياً؟

ـ اوه.. بلى! أجد أن كل ما يحيط بي جذاب وجميل حتى غدوت متناغمة مع.. الألوان المتعددة التي تطبع جزءاً من الارض حين تسطع عليها الشمس. هناك تباين كبير حتى في المناطق القريبة من المنزل.. فهناك تباين بين ألوان الأشجار والأزهار وبين لون المنزل نفسه، الذي لونت المناخات جدرانه وطبعت حجارته بطابعها الفريد.

كانت تتحدث مندفعة، وقد نسيت كل شيء، إلا الاحساس الذي كان يتفاقم مع كل لحظة من لحظات مسيرها على أرض نيوزيلندا.

ـ إنني أتمتع بهذا التغيير الذي كاد يكون كاملاً. بيري إن كل شيء حتى الطيور مختلفة.

ـ اسمعت صياح الببغاء الأخضر فجراً؟ إنه يقترب عادة من المنزل ليلتقط الفتات الذي تركته له لونا.

ـ اجل سمعته.. وتساءلت عندما سمعت صوته عما إذا كان ضحكاً.

شاهدت للمرة الأولى المرح يغمر قسماته.

ـ اتعلمين أنه قد يتعلم الكلام؟ وأن ضحكاته أحياناً قد تصيب الانسان بعدوى الضحك؟ هل أضحكك؟

ـ نعم.. فعلاً!

احست فجأة بسعادة مردها اللطف الذي يظهره لها وإحساسها بأنه ما عاد يعتبرها ضيفة ثقيلة عليه بل صديقة قديمة لم ينسها بعد.

اقترح عليها بيري بعد نصف ساعة ان يستريحا وذلك حين وصلا إلى بحيرة صغيرة ينمو حولها صنف من اصناف شجر الآس الصمغي الاصلي.. وبعض انواع الصمغ الأحمر.

ـ أهذه بحيرة متفرعة من النهر؟

ـ هذا صحيح أتعرفين شيئاً عن الجغرافيا الفيزيائية؟ حسناً لا بأس.

وصمت.. كانا يجلسان على حافة البحيرة والجياد تشرب منها. مدَّ هو ساقيه إلى الأمام واستند الى جذع الشجرة.

ـ لماذا توقفت؟ أما كنت ستشرح لي شيئاً عن هذه البحيرات؟

حينما ادار رأسه إليها نظرت إليه وابتسامة مشرقة تتراقص على شفتيها.. فانخفض جفنا بيري.. ثم قال بعد صمت غريب:

ـ يصعب شرح أمر كهذا لمن لا يعرف عنه شيئاً. إن هذه البحيرة تتكون وتتجمع من تسرب مياه النهر حين يصل جدول ما إلى طريق مسدود. وهذا يحدث عادة وقت الفيضانات، حين ترتفع

مياه النهر وتندفع عن أطرافه في جداول وسواق حتى تتجمع في بركة كهذه، ونحن نسمي هذه البحيرات «عنق الثور» لانها تشبه ما يطوق به عنق الثور لدى الفلاحة، انها تحدث في الواقع جرّاء تسرّب مياه النهر وقد يحدث أن تكون أكبر من هذه بكثير أو أصغر منها، وهذا يعتمد على حجم الجداول المتفرعة هي عنها.

كان وهو يتكلم يرسم بأصبعه دون وعي على التراب رسماً بيانياً لما يقول.. فرفعت نظرها ونظرت الى «غريت سليف» التي بدأ الجفاف يطرق أبوابها، قالت:

ـ هذا يعني أن هذه البحيرات تكون عادة قريبة من النهر؟

ـ في الأساس أجل. إنما هناك استثناءات تعود أسبابها الى مسار النهر.. وهذه هي عملية تقنية. لن تهمك على اية حال.

عادت شانا للتحديق في مياه البركة وتمتمت:

ـ تبدو كأنها موجودة هنا منذ الازل.

حاولت جاهدة تصور ما كان عليه مجرى النهر قبل ان يحدث هذا السد الطبيعي.

ـ إنها هنا منذ مئات السنين. نحن نعرف ذلك من بعدها عن النهر فثمة مسافة ارضية شاسعة بينهما حالياً.

نظر الى ساعته وهو يتكلم، فأحست باكتئاب لأن أوان العودة قد أزف. ولكن ما أدهشها أنه لم يظهر حركة تدل على العجلة. بل العكس ألقى أكثر فأكثر بثقله على جذع الشجرة، فسألته وهي تقول ما يجول في أفكارها:

ـ هل تستريح بعض الوقت من العمل؟

ـ في بعض الأحايين القليلة.

قالت، ليس لأنها تريد ان تقول، بل لانها أحست بأنها مدفوعة بقوة غريبة للتحدث عن الفتاة التي سيتزوجها.

ـ أتبيت عادة عند أهل سندي؟

ـ حيناً أقصدهم أنا وأحياناً يقصدونني.

ـ أعتقد أنك بعد الزواج لن تعمل جاهداً كما يحدث حالياً؟

ـ ربما سأستريح أكثر. إذ يحق للزوجة أن ترى زوجها في المنزل، بين الحين والآخر.

بين الحين والآخر... هناك شيء بارد وغير عاطفي في طريقة كلماته لذا تساءلت كيف هي سندي هذه، فلربما كانت هي كذلك هادئة باردة فيليقان عندئذ ببعضهما بعضاً.

ـ لقد تغيرت...

خرجت الكلمات منها لا إرادياً، فأدار رأسه اليها متعجباً:

ـ تغيرت؟ كيف؟

ـ اصبحت قاسياً.. يا بيري، وساخراً قليلاً.. قاسياً.

وفكر في الكلمة لحظات وعيناه الرماديتان ضيقتان وحاجباه معقودان:

ـ أجل إن الزمن كفيل بجعل المرء قاسياً وساخراً أيضاً. اليس كذلك؟ أم أنك لست واثقة؟

أطرقت برأسها تنظر الى يديها المنقبضتين معاً بشدة:

ـ انت مختلف.. مختلف جداً.

ـ تقدمت في العمر.

فجأة لاح لها منه وجهاً زاجراً أصابها بصدمة كبيرة. كان الحديث الآن ينتقل الى منطقة كان عليها تجنبها لأن للماضي يداً مريرة فيها، فسارعت إلى تغيير الموضوع:

ـ أخبرني عن عملك بيري.. لديك مكان ضخم مذهل هنا.. لم يكن لدي فكرة عن مدى اتساعه وترامية. إن ادارته دون ريب مسؤولية ضخمة.. ألديك عدد كبير من الموظفين الذين يساعدونك

في اعمالك المكتبية؟

رد عليها دون أن يظهر أقل تأثر لتغييرها دفّة الحديث:

ـ هناك رجل واحد يساعدني في أعمالي المكتبية، وهو لانس كالدر، الذي ستقابلينه هذا المساء. إنه يعيش في أحد أكواخ القرية ولكنه يتناول العشاء معي مرتين في الاسبوع، حين نناقش أمور العمل. إنما طبعاً ليس حين يكون لدي ضيوف.

ـ أهو أعزب؟

ـ جاء إلى هنا ذات يوم في العام الماضي إثر عطلة أخذها من عمله المكتبي في كريستشرش. ويبدو أن عمله في المدينة كان يضجره، فلما لمست منه مللّه ذاك عرضت عليه الوظيفة لأنني وجدت فيه مؤهلات تفيدني. فكان أن عاد إلى كريستشرش ليقدّم استقالته ولم يلبث أن عاد الى غريت سليف بعد شهر فسلمته بعض المهام التي تقع على كاهلي فسهّل علي وجوده الحياة. وماذا تريدين معرفته ايضاً عن المزرعة؟ إذا كنت ستمكثين عندنا مدة طويلة، فستكتشفين كل شيء بنفسك.

ـ لست أدري ما هي المدة التي قد نمكثها بيري. ولكن أعرف أنه يجب ألا نمكث عندك إلى وقت نصبح فيه مصدر ازعاج لك.

فكرّ قليلاً في ما قالت:

ـ يجب ان تبقيا الوقت الذي تشاءانه شانا. فلا أرى أن أياً منكما قد تصبح مصدر إزعاج.

ابتسمت له بفتنة:

ـ شكراً لك بيري. . إن قولك هذا لمنتهى اللطافة.

رفع حاجبيه متسائلاً:

ـ لطافة؟ أذكر أنك قلت لي إنني أصبحت قاسياً.

ـ قد يظهر القساة أحياناً لطفاء.

لامست البسمة شفتيه، وبقيت للحظات، ثم قال:

ـ اخشى أننا مضطران للتوجه الى المنزل غير أنني أرجو أن تكوني قد استمتعت بجولتك الأولى لك على أونو؟

ردت بنعومة:

ـ جداً.

وتساءلت في نفسها عما قد يظنه لو عرف كم عنت لها هذه النزهة، آلمتها هذه الفكرة حتى تمنت لو تلوذ إلى الوحدة لتطلق العنان لدموعها.

وصلت سندي ووالداها قبل الضيوف الآخرين بيوم. وقد بدوا من تصرفاتهم أنهم مستأنسين هانئين وكأنهم في منزلهم. ففهمت عندئذ شانا انهم معتادون على زيارة الرجل الذي سيصبح عما قريب فرداً من افراد العائلة.

حين التقت الفتاتان، تلقت شانا صدمة. . فالفتاة كانت تختلف في المظهر تماماً عما تصورته. نعم لقد عرفت من بيري أنها سمراء، ولكنها لم تكن تتوقع أن تكون جميلة الى هذا الحد وأنيقة الى هذه الدرجة. كان شعرها الجميل يشع اسوداده أمام بشرتها العاجية القرنفلية ويسترسل أملس نضراً على أبعد من كتفيها، وكانت سندي تعلم أن مظهره الأملس أمر حيوي لذلك كانت مراراً وتكراراً ترفع رأسها لتلفت الاهتمام الى تموجه الطبيعي الجذاب.

وإذا كانت شانا قد صدمت لرؤية سندي فسندي تلقت صدمة اكبر وقد بدت صدمتها هذه وهي تمدّ يدها مصافحة. فعيناها ضاقتا وهما تتأملان وجه شانا عن كثب.

غير أن بيري لم يرَ شيئاً غريباً إذ كان يبتسم لخطيبته.

ـ كيف حالك آنسة جيلبرت! (سألتها شانا).

ولكنها لم تتلق رداً على سؤالها بل اتساعاً في العينين القاتمتين

اللتين اخذتا صورة وجه شانا كاملة بشعرها الذهبي الفاتح اللون وقسماتها الرقيقة. حين مرت عدة لحظات ولم تظهر الابتسامة على فم الفتاة، اختفت الابتسامة عن شفتي شانا وتراجعت ذلك أنها شعرت بأنها عوملت بازدراء فحتى المصافحة كانت خالية من الحرارة وتبين أن ما أحست به شانا لم يكن ازدراء فحسب بل توتراً مشحوناً.

ورفعت سندي وجهها الى بيري الواقف قربها وقالت بدلال:

- بيري.. حبيبي.. سمعتك تقول بواسطة جهاز الإرسال إن السيدة بلايث صديقة قديمة.. أم أنا مخطئة.

نظر بيري وشانا إليها بحدة، فقد كان في صوتها تغيير غريب جعل وجه بيري يعبس:

- لا يا سندي.. لست مخطئة.. لقد التقيت أنا وشانا منذ سنوات حين كنت أزور انكلترا. أعتقد أنك تذكرين سفري ذاك.

هزت الخطيبة رأسها ببطء:

- وهل كانت السيدة بلايث متزوجة آنذاك؟

لم يكن لسؤالها علاقة بالموضوع فازداد وجه بيري تقطيباً:

- لا.. في الواقع لم تكن متزوجة.

وتحرك فجأة بشكل ملفت للنظر فلحقته نظرة ساندي الضيقة وهو يتجه الى طاولة الشراب السنديانية الجميلة القديمة الطراز.

- أتودين ان نجلس هناك؟

اشارت شانا إلى مقعد يقع قرب النافذة العريضة فنظرت اليها سندي نظرة حقد اعداء قديمين جعلت نبضات شانا تتسارع.. ما خطب هذه الفتاة؟

أتعلم سندي شيئاً عن علاقتهما الماضية؟ ولما أخذت منها هذه الفتاة جانب العداء؟

قررت شانا محاولة التعرف اليها بحديث ودي:

- هل منزلكم بعيد عن المزرعة مئة ميل.. كما قال لي بيري.

- بل أكثر.

والتفتت نحو بيري مبتسمة وقد أحضر لها شرابها، بينما اشاحت شانا نظرها عن اناقته الجذابة فيجب عليها ألا تفقد توازنها أو تنسى للحظة أنه ليس لها.

التفتت الى سندي الناظرة ببهجة الى خطيبها.. هذه الفتاة هي من اختارها... وما أغرب اختياره فتاة هي نقيضها تماماً ليس في الألوان فحسب بل في اللباس والتكوين والنفسية. بيري الآن رجل بارد.. قاسٍ. اختفى ذاك الذي عرفته محباً ولهان في الماضي. بيد أنه ما زال يحافظ على أدبه ولطفه رغم رغبته في ابتعادها عن منزله.

- تفضلي شرابك شانا.. وكأنك كنت تحلمين في اليقظة!

التفتت اليه تتناول منه كأسها.

- شكراً لك.

قالت سندي بعد ابتعاد بيري عنهما:

- ذكر لي بيري أنك ارملة.. أنت شابة على الترمل..

لم ترد شانا.. وبعد لحظات صمت اضافت سندي:

- لماذا قررت عمتك القيام بهذه الزيارة لبيري؟

- ربحت عمتي بعض المال.. وبما أنها تحب السفر فكرت في بيري.

قاطعتها بفظاظة، تنظر نظرة غريبة الى العجوز.

- أتساءل لماذا؟ لماذا اختارت هذا المكان؟

- لا أعتقد أن هناك سبباً محدداً. لقد أرادت أن تقوم بزيارة الى نيوزيلندا وبما أن بيري هو الشخص الوحيد الذي تعرفه هنا،

www.rewity.com

فمن الطبيعي ان تزوره.

عقب قولها صمت قصير فيه برودة غريبة جعلت شانا تتمنى لو تجد عذراً لتترك الفتاة وأفكارها المجنونة. أخيراً قالت سندي:

ـ ليست عمتك على ما يبدو ممن يحب السفر. لذا أستغرب رغبتها في السفر الى هذه المناطق النائية التي لا تكاد لا تجذب انظار الناس.

احست شانا بالتوتر، وما شأن سندي بهذا.. ما شأنها بما تختاره عمتها؟ وردت عليها ببرود:

ـ لا أحسب أن هذه المراعي خالية مما يجذب الناس اليها. ففيها الهدوء والفضاء بل هي في الواقع مختلفة عن العالم الذي نعرفه هناك، المرء بعيد بعد عالم كامل عن طاحونة العمل والصحف والضجيج والسير الكثيف والروائح والتلوث.

قالت سندي بقسوة وسخرية بغيضة:

ـ ألست متحمسة أكثر مما يجب؟ فلو كنت صادقة مع نفسك لوافقت معي فلن تجدي سواحاً هنا.

ـ لكننا لسنا سواحاً.

توقفت فجأة عن الكلام فقد ضاقت عينا الفتاة:

ـ لستما من السواح..؟ إذن انتما هنا.. في زيارة خاصة؟

ما أخبث هذه الفتاة الحادة الذهن التي تشد شانا نحو فخ ما، ولكن شانا سارعت للشرح:

ـ إنها زيارة ودية الى موطن بيري.. ولقد اختارت عمتي هذا المكان، والتزمت أنا باختيارها.. فمالها هو الذي حملني الي هذه المزرعة.

كانت النظرة التي تلقتها شانا رداً على اعترافها هذا سوداء حاقدة ممزوجة بازدراء وتكبر.. ويبدو أن الفتاة تعتبر نفسها أرفع

قدراً من هاتين الزائرتين القادمتين من انكلترا.

ـ لقد كانت عمتك محظوظة بربح جائزتها، التي ذكرتها. اليس كذلك؟ فلولا حظها الكبير لما استطعتما القيام بهذه الرحلة؟

ـ ما لديها من إيراد قادر على تغطية نفقات الرحلة.

واخذت تحاول التفتيش عن عيني عمتها لتوحي اليها أنها تحتاجها هنا لتنقذها.. ولكن العمة كانت تتبادل الحديث المرح مع مضيفها ومع السيد والسيدة جيلبرت اللذين لا يملكان على ما يظهر عجرفة ولؤم ابنتهما.

تابعت سندي بعد لحظات:

ـ كما كنت أقول.. ليس في هذه المنطقة ما يجذب اهتمام السواح. فهل توافقين الرأي؟

انعقد حاجبا شانا بعبوس قاتم.. إلى ماذا تلمح سندي؟ إنها على ما يبدو عازمة على جعل شانا تقرّ أن المكان خال مما يجذب اليه الناس إنما لماذا؟ من الاسهل لها ان تُظهر ما تريد..

ردت تصلح لها قولها:

ـ ربما أنت على حق بعض الشيء فليس في هذه المنطقة أماكن كثيرة قد تجذب السواح.

فجأة قالت الفتاة بفحيح غريب:

ـ لقد اعترفت الآن أن منطقتنا ريفية خالية من التسهيلات والتسلية بل هي مملة.

ردت شانا ببراءة:

ـ ربما إن قارنها بما قد يجده من تسليات في مدن ومنتجعات كثيرة اعتبرها مملة. فهذا المكان يبدو مملاً غير مثير للاهتمام لا لجميع الناس بل لبعضهم.

هزت الفتاة رأسها بطريقة راضية.. وفكرت شانا: غريبة هي

هذه الفتاة.. حسناً، اذا كان هذا الاعتراف يرضيها ويوقفها عن اصرارها الغبي فليكن لها.

ولكن ما إن انتهى العشاء وجلس الجميع مع مضيفهم على الشرفة يشربون القهوة، حتى فهمت شانا غرض تلك الفتاة وحين فهمت السبب كادت تختنق ليس فقط بسبب تحويرها ما قالته لها بل كانت تريد أن توصل رسالة ما إلى بيري بعيدة عن الحقيقة كل البعد.

ـ كنت أتحدث والسيدة بلايث حديثاً مهماً قبل العشاء، كما لاحظت حبيبي..

ـ أجل.. لاحظت حديثكما، ولا أستغرب ذلك فلا بد أن لدى شابتين جميلتين اهتمامات مشتركة.

فجأة أظهرت سندي فتنة وحماسة غريبتين جعلتاها تظهر بمظهر مختلف عن تلك المتعجرفة التي تحدثت مع شانا.

ـ هذا صحيح كنا نتحدث عن زيارتها.. وكانت تقول إن المكان هنا ممل حتى الموت بل هو غير مثير للاهتمام. وتظن أن البلاد هنا رتيبة، خالية من التسالي والتسهيلات كما قالت إنها ودت لو أقامت وعمتها في مدينة ليستطيعا زيارة بعض الآثار والمنتجعات وأتوقع أن ترغب في حضور المهرجانات والحفلات الصاخبة التي تحضر خصيصاً للسواح.

شهقت شانا لأن الفتاة حوّرت كلماتها بطريقة خبيثة جعلت بيري يظهر جفاء تجاهها. ففجأة ضاقت عيناه واستعرتا بغضب جعلها تخفض نظرها بعيداً عن لهيبهما.. ماذا عليها أن تفعل الآن؟ أتنكر فتسبب مشكلة وجدالاً حتى ينفر منها بيري وهذا مرام سندي. أتصحح لسندي ما تفوهت به. فيظنها بيري تقول ذلك مرضاة لخاطره. ولكن ماذا قد سيظن بها إن لم تنكر؟ وماذا ستكون عليه

ردة فعله إن نعتت خطيبته بالكذب؟ فهي إن كذبتها لن تكسب شيئاً إذ سيصدق كلام خطيبته ويكذّبها هي.

لم ينس بيري انه المضيف، ولكنه لم يحاول الحد من برودة كلماته:

ـ اذن لقد مللت. ولكنك لم تعطيني هذا الانطباع صباح اليوم حين كنا نتنزه على ظهور الخيل.

صاحت سندي:

ـ كنتما تتنزهان؟ هل خرجت معها متنزهاً بيري؟ كيف ذلك وأنت من يدعي الانشغال كلما طلبت منك الخروج معاً.

علا صوتها حتى بلغ درجة الارتفاع وبلغ الى أسماع الجالسين على طاولة اخرى على زاوية الشرفة البعيدة، فنظروا اليها متسائلين وعبس بيري في وجه خطيبته.

أصبح لون سندي شديد الاحمرار ذلك أنها لاحظت غباء احتجاجها الذي لا علاقة له بالموضوع المطروح للنقاش.. ردت شانا على سؤال بيري:

ـ أنا لم أضجر بل أنا بعيدة عن ذلك.

فجأة تغير موضوع النقاش، ولكن مع مرور الوقت تبين لها أنه يتجنب الحديث معها. شاهدت شانا عينا عمتها تراقبانها عدة مرات. وكان فيهما كذلك تعبير غريب.. وكأنها مشغولة البال.. تنقل بصرها من بيري إلى سندي ومنها الى شانا.

أما سندي فكانت تتألق كالنجمة.. كانت تعرف كل الألاعيب.. فحركات يديها كانت تجذب اهتمام بيري اليها غصباً.. وكانت دائماً ترفع رأسها لتظهر شعرها الأملس، الذي كان اهتمام بيري يتسّمر عليه تسمراً راحت تتساءل معه عما إذا كانت يداه تتوقان للمسه.

تذكرت بألم بليغ كيف كان يجمع يوماً شعرها بين يديه ليقبله.. بطريقة تملكية.

كان رفضها طلبه طعنة نجلاء لكبريائه وقلبه، لأنها تعرف أنه احبها وستتذكر حتى مماتها نظرة الألم والتوسل التي القاها عليها لتعيد التفكير في قرارها قبل ان تدمر حياتهما معاً.

والآن.. اختار فتاة اخرى.. فتاة باردة خبيثة. ستصبح سيدة أملاك هذا القصر الكبير غريت سليف وسيدة بيري لونغ.

* * *

٤ ـ ليتني أنساه

بعد اسبوع من ذاك اليوم التقت شانا شارلز شقيق سندي الذي كان صدفة ماراً حين تعطلت سيارة الطالبين المقبلين من كلية الزراعة الى غريت سليف... فاصطحبهما معه الى مزرعته «انياسكا» حيث بقيا ليلة ثم أوصلهما الى غريت سليف واعداً بإرسال من يصلح لهما السيارة.

قال له باتريك، الشاب البالغ من العمر الحادية والعشرين وعيناه تومضان إعجاباً بشانا:

ـ نحن شاكران لك جداً.

كانت شانا تقصد الشرفة حين كان الرجال الاربعة يقفون فيها فقدمها بيري إليهم. لم تنتبه كثيراً لاهتمام باتريك ولكنها دون شك لاحظت اهتمام تشارلز بها كما لاحظه بيري الذي ضاقت عيناه وهو يرى أن شقيق سندي قد اطال مصافحة شانا وأبقى يدها في يده أطول مما يلزم. قال بصوت ضاحك:

ـ لم تقل لنا إنها ساحرة الجمال! وإنها تحمَّر خجلاً، بل لم تذكر لنا أنها الفتنة والبراءة بعينها. يجب ان نتعرف إلى بعضنا بعضاً شانا!

عندئذ قال لها بيري بلهجته الباردة غير المكترثة:

ـ ستكتشفين قريبا أن تشارلز اكبر عابث في المنطقة.

اطلق تشارلز ضحكة أخرى ثم ترك يد شانا ولكنه أبقى نظرة الاعجاب مثبتة على وجهها. قالت شانا:

ـ لا أظن أن هناك فتيات جميلات كثيرات ليغازلهن هنا.

نظرت نحو بيري فازدادت حمرة الخجل من جرّاء نظرته التي ذكرتها بالكلام الذي قالته سندي عن لسانها. ورد تشارلز:

ـ هناك عدد لا بأس به. ستقابلين بعضاً منهن حين نقيم حفلتنا الراقصة الأسبوع القادم.

نظر اليه بيري مستغرباً:

ـ الاسبوع القادم؟ لم تذكر أمامي سندي شيئاً عنها.

ـ لقد اتخذت أمي قرارها هذا الصباح، أنت تعرفها.. تتردد اسابيع عدة وحين تقرر، علينا التنفيذ فوراً. لقد دعوت باتريك وجايمس كذلك. وها قد نقلت الخبر اليك. نتوقع قدومكم بعد أسبوع يا بيري وحذار أن تنسى شانا وعمتها.

ـ شكراً تشارلز... هل أنت ذاهب الآن؟

ـ أود الوصول قبل حلول الظلام.

نظر بيري الى السيارة القوية الواقفة امام المنزل.

ـ لن تستغرق الرحلة معك أكثر من ساعتين. فبعد أن تجتاز الطرقات السيئة وصولاً إلى الطريق العام ستسير بسرعة تسعين ميلاً في الساعة.

ـ اجل.. انت على حق.

ـ ما رأيك لو تحتسي معنا الشاي قبل ذهابك.

فوافق تشارلز.

نظر بيري إلى الشابين قائلاً:

ـ سترشدكما لونا الى غرفتيكما. وضعت لكما طاولتين صغيرتين للكتابة.

واستدار جايمس فلحق بالخادمة، بينما وقف باتريك يحدق مذهولاً في وجه شانا.. فقال له بيري ببعض السخرية:

ـ أتريد شيئاً ايها الشاب؟

احمَّر وجه باتريك ثم سارع دون تردد يلحق زميله. فقطب تشارلز:

ـ يسرني أنك وضعت ذلك الشاب عند حده.. إنه مهتم جداً بشانا.. وهذا ما لا يعجبني.

نقل بيري نظره من تشارلز الى شانا التي احمرَّ وجهها حرجاً.. فتمتمت:

ـ انت تخطىء سيد جيلبرت. إنه لا يعدو أن يكون ولدًا.

ـ اسمي تشارلز. لم يسبق أن دعاني أحد بالسيد جيلبرت منذ سنوات.

فضحكت شانا ضحكة بعثت الى نفسها بعض الراحة.

ـ لست أدري إذا كان من اللائق مناداتك تشارلز فأنا لم أتعرف إليك إلا منذ مدة وجيزة.

ما أشد اختلاف طباعه عن طباع شقيقته. أيعقل أن يكون ودوداً إلى هذا الحد فيما أخته عدوانية إلى تلك الدرجة؟ وسأل تشارلز بيري:

ـ إنها لطيفة.. أليست كذلك؟

لم يرد بيري على سؤاله بل قال:

ـ ربما تود غسل يديك وتنظيف نفسك. تعرف الغرفة المخصصة لك. فلا لزوم إلى أن ترشدك لونا إليها.

ـ لا.. بالطبع. أراكما لاحقاً.

بقيت شانا وحدها مع بيري. كان بينهما برودة، حافظ عليها منذ سماعه كلمات خطيبته الشريرة غير أنه حافظ على تصرفه

www.rewity.com

المهذب كمضيف. فحينما كان يظهر عليها أي تردد او عدم قابلية للأكل، كان يسارع إلى السؤال أو إلى تقديم النصيحة. كانا يقفان الآن على الشرفة، ينظر اليها من علو بينما هي تضع ابتسامة على شفتيها علّه بذلك يصبح أقل جفاء معها. لولا كلمات سندي الحقود، لخرج معها ثانية في نزهة ولزال عنها الشعور بأنها شخص غير مرغوب فيه في المزرعة.

قال لها معلقاً:

ـ لقد تركت على ما يظهر تأثيراً بيناً في مشاعر تشارلز.

ـ ألم تقل إنه عابث؟ يستطيع المرء بسهولة معرفة النوع الذي ينتمي إليه.

ـ إذن أنت لست ممن يستجبن للعبث؟

ـ انا لا استجيب لأمثال تشارلز الذي تنقص نواياه الصدق.

ووقفا هناك وقد ران عليهما صمت غريب تحدق بهما الحديقة الدافئة التي تظلل فيها اشجار النخيل المروج المنبسطة كسجادة ناعمة والتي تحدها أزهار مختلفة الألوان. كانت الأشجار تتمايل مع الهواء الرقيق فيعبق الجو بأريجها العطر واريج الأزهار الغريبة. قطع بيري عليها أفكارها.

ـ ستجدين صعوبة في ابقاء تشارلز بعيداً عنك متى وضع نصب عينيه مغازلتك.

رفعت رأسها فنظرت إليه، دون ان تدرك الصورة الجميلة التي تمثلها... فقد كان شعرها الذهبي يتطاير بدلال، أمام جدران المنزل القاتمة، كالفتنة بعينها.

ردت شانا بثقة:

ـ سأعرف كيف أتعامل معه. فأنا لست صغيرة أو حمقاء، حتى يدير رأسي كلامه المعسول.

إنه حديث غريب جعلها تتذكر أياماً خلت، كان فيها بيري يغار عليها غيرة عمياء. وقتذاك. لم يكن يطيق ان تكلم تود، الذي كان خطيبها ثلاث سنوات. وها هو الآن يا للغرابة! يتحدث إليها عن امكانية تودد تشارلز إليها، وكأن حبهما لم يكن...

ـ فيمَ تفكرين الآن؟ إنه دون شك مؤلم.

جعل سؤاله وجهها يحمّر بطريقة جذابة جداً.

ـ لم يكن أمراً مهماً بيري.. إنها مجرد ذكريات...

ولكنها سرعان ما ندمت على ما قالته إذ أساء فهم قصدها، وقال بقسوة خالية من المرارة والندم:

ـ تتعلق بزوجك؟

لقد مات بالنسبة له الماضي، وهو الآن لا يسأل هذا السؤال إلا لأنه السؤال الوحيد الذي برز الى ذهنه. إذ يعتقد أن شيئاً لا يؤلمها غير ذكرى زوجها. لم يكن مقدراً لها ان تجيب عن سؤاله، فقد خرجت عمتها في تلك اللحظة من المنزل، فاستدارا معاً ليشاهداها تبتسم لنفسها ابتسامة رضى، قد توصف بالغموض كذلك:

ـ ها أنتما! ما أجمل صورتكما معاً. بيري.. أنا معجبة حقاً ببلادكم! أتظن أن بامكاني شراء مزرعة صغيرة في مكان ما هنا.. بالمال الذي أملك؟

اندثر التوتر في لحظة فضحك بيري وشانا معاً.

ـ بما انني لا اعرف المبلغ الذي تملكينه سيدة جيليس، فلا استطيع الرد. إلا انني أستطيع التأكيد بان هناك مزارع صغيرة ولكن عليك أن تعلمي أن هذه المناطق غير غنية زراعياً كبلادكم.. قد تتمكنين من شراء مزرعة مواشي صغيرة اذا كان يرغب أحدهم في البيع.

ـ لا تبحث في هذا الموضوع ايها الشاب..! فانا لا أملك المال ولا النية لشراء مزرعة مواشي! فماذا يمكن أن أشتري إذن؟ اليس في بلادكم مكاتب سمسرة؟

ـ عمتي.. لا تتصرفي ببلاهة.. فأنت لا تريدين حقاً الاستقرار في نيوزيلندا إذ سرعان ما ستشعرين بالحنين الى الوطن وما ذلك الا بعد شهر واحد!

ـ شهر؟ وكم مضى على وجودنا هنا؟

ـ اسبوعين فقط.

ـ اسبوعين.. تمتعت فيهما بكل لحظة. وقد سبق أن قلت لك إنني معجبة ببلادكم!

التفتت عيناه الى شانا وهو يرد على العجوز:

ـ ما أروع أن أسمع منك هذا سيدة جيليس.. مع أن ابنة اخيك ليست متحمسة مثلك. إذ تجد البلد مملاً وغير مثير للاهتمام.

عبست العجوز، ونظرت حائرة الى ابنة اخيها:

ـ لست افهم؟ أقلت هذا لبيري.. وأنت ضيفة في منزله؟ لقد قلت لي إنك أحببت الاقامة هنا وإنك تحسين بالشاعرية في الصمت والهدوء. وانك مبتهجة الى حد النشوى بشروق الشمس ومغيبها وبالوان الارض في تلك اللحظات.

ثم هزت رأسها بشدة، وأردفت:

ـ لا اصدق أنك قلت شيئاً كهذا لبيري!

نظر بيري اليها، وعيناه الرماديتان تضيقان من الحيرة:

ـ هل قالت شانا أمامك أنها تحب هذا الجزء من البلاد؟

عبست العمة بصمت لحظات ثم ردت بحزم:

ـ هذا ما قلته، كما أنه لا يمكن لشانا أن تقول إنها لا تحب

المكان، لأن ذلك بكل بساطة غير صحيح.

ـ قالت، ليس أمامي إنما أمام خطيبتي، إنها تجد المكان مملاً غير مثير للاهتمام أليس ذلك قولك شانا؟ لماذا أسمع انك اعطيت عمتك وجهة نظر مختلفة؟

فكرت شانا في كيفية التعاطي مع هذه الوضع الذي سيزج خطيبته في موقف سيء قد يؤثر في بيري نفسه ويسبب له الاحراج حين يعلم أن خطيبته حرّفت كلامها، لسبب غير معروف:

ـ لقد كان ذلك سوء تفاهم.

ـ سوء تفاهم!

كانت رغبته في الحصول على تفسير كامل واضحة.. فحاولت بلباقة الانسحاب انهاءً للجدال. فأجبرت شفتيها على الابتسام.

ـ ليس الأمر مهماً بيري.. لقد أساءت الآنسة جيلبرت تفسير كلامي.. هذا كل شيء. الأمر كما قلت لك غير مهم..

التفتت إلى عمتها مردفة:

ـ نحن مدعوون الى حفلة راقصة في منزل آل جيلبرت.. أليس هذا مثيراً؟

غير أن عمتها التي تجاهلت محاولتها هذه لتخطي الموضوع سألت:

ـ كيف أساءت الانسة جيلبرت تفسير كلامك.. شانا؟

وقبل ان ترد عليها استدارت الى بيري:

ـ لعلك لا تمانع إن ألححت في الطلب؟ فأنا اكره الغموض.. شانا.. عزيزتي.. اشرحي الامر.. ارجوك!

هزت شانا رأسها غير قادرة على ايجاد سبب لرفض عمتها ترك الموضوع. وتدخل بيري بلهجة حازمة:

ـ وانا كذلك اكره الغموض.. لقد سبق أن قلت أمامي إنك

تحبين المكان.. وقلت أمام عمتك إنك تجدينه مكاناً شاعرياً ثم لم تلبثي أن ذكرت شيئاً مختلفاً أمام سندي. فهل لي أن أعرف لماذا؟

لوحت شانا يديها بنفاذ صبر ثم قالت متوسلة تنظر إليهما عابسة:

- ألا يمكننا نسيان الموضوع؟ قلت إنه غير مهم...

قال بيري بصوت خفيض:

- الغموض يزداد عمقاً.. شانا... أطلب تفسيراً منك... لو سمحت.

هزت كتفيها باستسلام لأنها تعلم أنه سينتزع الرد منها انتزاعاً. فشرعت تسرد ما حدث تحاول جاهدة أن تحمي سندي.. ولكنها عرفت، من تشدد فم بيري أنه غضب... أما عمتها فسارعت تقول قبل أن يتكلم بيري:

- إذن انت لم تذكري شيئاً من ذاك القبيل. فلست من قال إن الإقامة في المدينة والمنتجعات أروع وامتع؟ هذا يعني بكلمات أخرى أن الآنسة جيلبرت اخترعت الكلام كله؟

صاحت شانا لا إرادياً وقد ازعجها ما قالته عمتها التي لم تبال بمشاعر بيري.

- عمتي!

فقاطعها بيري ساخطاً:

- أظن.. أن بإمكاننا الآن ترك الأمر جانباً. والآن أرجو أن تعذراني لأن لدي عملاً اقوم به..

ثم ذهب دون أن يضيف كلمة أخرى.

- عمتي.. لقد كنت قاسية! فهل نسيت أن الآنسة جيلبرت خطيبته.. كان من المزعج ان يعلم أنها كذلك، هذا دون أن تركزي على تأكيد الكذب.

- لقد قصدت ان أركز عليه! فمنذ رأيت تلك الفتاة نفرت منها. إنها ليست امرأة صالحة لرجل رائع كبيري.

- المهم أنه يعتبرها مناسبة.

- إذن هو غبي أو أعمى! لا أستطيع فهمه ابداً.

- فهم ماذا؟

- كيف اتخذها خطيبته أصلاً؟ إن أي إنسان قادر على رؤية ما هي عليه من الزيف والتصنع هذا عدا التكبر! وها أنا الآن أصدم أكثر بعد أن وجدتها كاذبة تستخدم كذبها لتحدث شرخاً بينك وبين بيري الذي كان بارداً معك منذ تلك الليلة، أتظنين أنني لم الاحظ برودة؟ ما أصررت على حديثي منذ قليل إلا لأفضح كذبها علناً. لماذا يجب أن تنجو بفعلتها على حسابك!

- لم يكن الأمر مهما عمتي.. كنت افضّل ترك الامر على ما هو...

لقد تألم بيري لهذا وأصيب بجرح فانسحب ليلعق جرحه.. فهي تعرف تماماً معنى أن يجد المرء نفسه مخدوعاً بمن يحب.

- أكنت تفضلين هذا؟ لماذا؟

- لأنني لا أريد أن يتألم بيري.

- مع أنك لا تحبينه! أليس هذا ما اعترفته أمامي؟

- أنا لا أحبه.. لكن هذا لا يعني أنني أريد له الألم أو الإحراج. أحسب أنه كان من الأجدى تركه جاهلاً بما حدث.

- أنا حائرة. ترى لماذا تريد سندي تلك أن توهم بيري بكرهك لموطنه.

ومطت العمة شفتيها بعبوس، بينما هزت شانا رأسها متمتمة:

- لست أدري.. لست ادري!

إن غضب بيري من سندي على كذبها ولّى على ما يبدو من

نفسه حين رآها ثانية، كان هذا ما لاحظته يوم الحفلة الراقصة فقد تألقت سندي هناك كالعادة تبتسم وترمش بأهدابها ببراعة خبيرة إلا أن ابتسامتها سرعان ما تلاشت عن وجهها حالما وقعت أنظارها على شانا فهزت رأسها بفتور تحييها، ارتدت سريعاً إلى الطالبين اللذين قدمهما بيري إليها. كانت العمة قد لاحظت نظرة سندي تلك فاشتعل فيها الغضب، وقالت لشانا حين كانتا تتناولان الدجاج المشوي تحت الاشجار:

ـ يا لها من مخلوقة كريهة..! إن بيري فقد عقله دون ريب!

ـ إنه يعرف ما يفعل عمتي.

فغاصت العمة في احد أمزجتها المفكرة، تاركة الطعام يبرد في طبقها.

ـ لا يمكنني فهم الرجال، إن المرأة لا تعرف ما ينوون الإقدام عليه.

عبست شانا بحيرة وسألت:

ـ ماذا تعنين عمتي؟

ـ ألم تلاحظي أن سندي جيلبرت هي نقيضك تماماً؟

ـ تعنين في ألوانها؟ طبعاً.

ـ إنه على ما يبدو لا يريد زوجة تذكره بالفتاة التي أحبها يوماً..

كانت العمة ما تزال غارقة في أفكارها تتمتم شيئاً ما لنفسها.. حين نظرت شانا إلى بيري فرأته وسندي يضحكان امام الطاولة الطويلة المليئة بالحلوى، تتكىء ذراعها على ذراعه، ويقبع خدها على كتفه. تألمت الماً شديداً حتى تمنت معه العودة الى الوطن. ولكن العمة بدت قانعة هنا فهي لم تذكر الرحيل البتة. صاحت العمة فجأة وقد أبعدت اهتمامها عن بيري.

ـ آه.. تشارلز. اجلس هنا يا ولدي العزيز.. تحركي قليلاً شانا ودعيه يجلس بيننا.

التفت الى شانا دون أن يخفي إعجابه:

ـ أتتسلين؟ هل لي أن اتحيّن الفرصة لأعلق على جمال فستانك؟

ضحكت شانا، وقد تذكرت كيف أن بسمة خبيثة لاحت على فم عمتها دون سبب ظاهر يوم تعرفتا إلى تشارلز.. ردت عليه:

ـ الجواب نعم.. على كلا السؤالين.

ـ فستانك أجمل فستان في الحفلة الليلة وشعرك أروع شعر رأيته قط.

كان لغزله تأثير كبير فيها فقد ضحكت ضحكة دوى صداها أكثر مما أرادت. الا أن ما أحرجها أن بيري نظر وشريكته إليها، فاخفضت عينيها إنما ليس قبل أن تلاحظ التعبير على وجه عمتها... وأن العجوز تضمر امراً ما.

لم تستطع شانا منع نفسها من التساؤل:

ـ لماذا أرى أنك راضية عن نفسك هكذا عمتي؟

ردت العمة بنبرة تعمدت أن تمزجها بالاستهجان:

ـ راضية عزيزتي؟ لا أفهمك؟

ـ كنت تبدين راضية عن أمر ما.

لماذا تشعر العمة بالامتنان لمجرد أن بيري التفت الى شانا حين ضحكت؟ لكن العمة ردت بحزم:

ـ واهمة أنت عزيزتي.

تنهدت، ثم تركت المسألة.. فتشارلز عاد الى حديثه الآن ليقول إن عليها ألا تضحك على تعليقاته الصادقة.

ـ هيا الآن تشارلز.. انت تعرف انك أكبر عابث في المنطقة.

رد بازدراء:

ـ هذا اتهام بيري.. إنه يغار مني لأن لدي طريقة مع النساء لا يعرفها!

ولكن بعد أن أرجعت الزمن قليلاً إلى الوراء تذكرت أن بيري قد يكون أكثر من فاتن.

ـ لا يعرفها؟ لا يبدو أن شقيقتك توافقك الرأي.

التفت تشارلز إلى حيث يقف الاثنان اللذان انضم اليهما زوجان هما مايدن وايربي ويتش، اشهر عضوين في المجتمع الارستقراطي في المنطقة، وصاحبا أكبر مزرعة في المنطقة المعروفة منذ اكثر من ثلاثمئة عام باسم «بروكن لانس». قال معلقاً على كلام شانا:

ـ من الواضح أنها لن توافقني الرأي.

ثم التفت الى العمة يستأذنها لمرافقة شانا ليراقصها فوافقت العجوز بحبور ثم راحت تلوّح لهما. دسّ تشارلز ذراعه حول خصرها أثناء توجههما إلى الخيمة الكبيرة المشعة بالاضواء حيث باحة الرقص. قال تشارلز حين سمع الموسيقى الريفية:

ـ إنها رقصة ريفية.. عنيفة جداً.. أتفضلين التنزه؟

ـ لا ادري تشارلز.. ربما من الأفضل ان نعود إلى الرقص.

فهي واقعاً كانت تأمل أن تحظى برقصة مع بيري فإن غابت عن باحة الرقص فاتتها هذه الفرصة. فأضافت:

ـ إن انسحابنا سيظهر أمام الأنظار غير مناسب.

ـ ولماذا يبدو غير مناسب؟ إن تفكيرك شرير يا طفلتي.. أؤكد لك انني قادر على أن اقف عند حدي وقت الضرورة. فلا تتحججي بالسخافات لرفض طلبي! إن الجميع يسعون إلى التنزه في سهرات كهذه. انظري.. هاك بيري وشقيقتي يذهبان في الظلام

وحدهما. إنهما ينويان تبادل العناق والغزل أما نحن فسنتمشى فقط.

لحقت عينا شانا بالشبحين الملتصقين ببعضهما بعضاً المبتعدين في الظلام.. عناق وغزل.. أغمضت عينيها بشدة.. تعض شفتها من الداخل لمنع دموعها.. لماذا اتت الى هنا؟ لم تكن تحس بمثل هذا الالم في الوطن.. هناك كان يمكنها ان تحلم بانه لا يزال لها.. اما الآن فقد انتهى كل شيء. فمن الآن فصاعدا لا ذكريات من الماضي بل من الحاضر المرير.

احست أن من الواجب إبعاد تفكيرها الى قنوات اخرى فسارعت تقول:

ـ اجل.. أفضّل ان اتمشى.

اذا تمشت وتحدثت إلى تشارلز، قد تنسى. ولو مؤقتاً.. فقد ينتزع منها الضحك ويجبرها عليه.. وهذا صحيح.. لانها واثقة أن قلبها المحطم لن يضحك ابداً.

* * *

٥ ـ الذكرى كنز دفين

ما هي إلا دقائق حتى احتواهما ظلام الدغل واتساعه فنتج عن العزلة شفاء غريب لكل جروح شانا وعذابها النفسي. فجأة وجدت نفسها غارقة في هدوء لم تكن منذ دقائق لتعرف انه سيجد له مكاناً في قلبها.

سألها تشارلز بعد أن أضحكها مرتين او ثلاثاً بروحه المرحة:

ـ حدثيني عنك شانا. أنت صغيرة جداً لتكوني ارملة.. أيمكنك التطرق الى الموضوع؟

نظرت إليه حائرة.

ـ هل أخبرتك عمتي شيئاً عن ماضيّ؟ عجباً.. لماذا فعلت؟ إنها ليست عادة صريحة مع الغرباء.

ـ التقيتها صدفة عندما أوصلت الطالبين. يومذاك ثارت حفيظتي وفضولي بسبب مجيئكما إلى هذا المكان الذي يعتبر مكاناً غريباً يقضي فيه الإنسان عطلته.. فطرحت بعض الاسئلة.. فقالت عمتك إنك ترملت وإن المأساة حطمتك في سن مبكرة. ثم أخبرتني عن جائزتها وعن قرارها في المجيء الى هنا.

ـ وماذا أخبرتك أيضاً؟

ـ لا شيء سوى رغبتها في أن تحمل العطلة لك إفادة لتنسي خسارتك التي حطمت قلبك.

حطمت قلبها.. لم تعرف من قبل أن عمتها قد تزيف الحقائق على هذا النحو. ألم تكن هي من قالت إن موت تود كان نعمة من الله لشانا؟ ألم تذكر عمتها ان المأساة الحقيقية كانت ستحل لو عاش تود حتى بلغت عمراً تعجز معه عن إيجاد السعادة التي تستحقها؟ لذلك كان غريباً ان تسمع أنها استخدمت تعبيراً مثل «تحطم قلبها».. هناك دون ريب سبب وجيه لقول عمتها التي تعرف أنها لا تقدم على قول أو فعل دون سبب.

قاطعها صوت تشارلز عن تفكيرها.

ـ أتتخذ هذه الطريق؟

بما أن بيري وسندي اتخذا الاتجاه المعاكس فلا خطر من الالتقاء صدفة. هزت رأسها إيجاباً، فعاد يسألها بعد لحظات صمت:

ـ طلبت منك أن تحدثيني عن نفسك؟

ـ ليس هناك الكثير تشارلز.. كنت مخطوبة لتود ثلاث سنوات، لأن والدي رفض الموافقة على زواجنا، وموافقته كانت ضرورية لانني كنت دون الحادية والعشرين.

ـ ثلاث سنوات فترة طويلة قد يقرر فيها شبان كثر السكن معاً في زواج عرفي.

ـ لكننا لم نكن نحب بعضنا بعضاً الى تلك الدرجة... ألا تعرف كيف يصبح الأمر حين يقع الإنسان في فخ الرتابة؟ يصبح كل شيء عادة.

نظر تشارلز وهو لا يصدق ما يسمعه.

ـ أتزوجته.. دون حب؟

ترددت.. أتبوح أمامه بكل شيء؟ من المؤكد أنها ستحس بالراحة حين تفضي بسرها لأحد يرغب في الاستماع والتفهم..

لكن.. لا! ستثير شفقته فقط، وهذا آخر ما تريده!

- هناك عوامل اخرى تشارلز.

- عمتك تحدثت عن الأمر وكأن حزنك على زوجك الحبيب يمزّق قلبك.

إلا أن شانا بقيت صامتة بعناد، فهز كتفيه بصمت مهملاً الموضوع. تمتمت شانا بعد ظهور القمر في السماء.

- إنني احب فعلاً هدوء هذه المنطقة. ففي المساحات الواسعة الكبيرة والصمت المطبق والبعد عن المدينة سحرٌ غريب. أظن انني كنت سأجد هذه الحياة في زمن انسان الكهف.

ضحك تشارلز لكلامها:

- لجرك أحدهم من شعرك.

ردت شانا:

- ولكنت انا متوحشة أتجاوب مع تلك المعاملة بغرز اظافري في عنق زوجي المعتدي.

- ما كان ليكون لك زوج في تلك الحقبة، بل وليف. مما يعني الانتقال من شخص إلى آخر. وهذا أمر مسلٍ.

- الرجال يرون في ذلك تسلية.

- وماذا عن النساء؟ إنهن مثلنا.

- هذا ما تريد أن تقنع نفسك به.

- إنها الحقيقة.

- وكأنك تعرف الكثير عن النساء.

- لدي أم وشقيقة لذا أفهم النساء. كما أنني لست ممن يسير مغمض العينين.

- كم عمر.. شقيقتك؟

- سبعة وعشرون... وكم عمرك؟

- خمسة وعشرون.

- ولكنك تبدين أصغر منها بكثير.. ربما ذلك لأنك شقراء أو لأنك تبدين ضعيفة هشة.

- لست هشة!

- آسف.. أنا مخطىء.. إنما ليتك هشة.

- يا إلهي.. لماذا؟

- لأن الاقتراب منك عندها أسهل. إذ تشعرين بالحاجة إلى حمايتي.

- ها قد عدنا إلى عادات رجال الكهف!

- أنت تعجبيني شانا.. لا.. انا لا أعبث معك!

- اذن، انا لا اعرف ما هو العبث!

- هل عبث معك احدهم من قبل شانا؟

- أبداً.

- في هذه الحالة، أنت على حق لا تعرفين ما هو العبث.

ضحكت.

- هذه نقطة لصالحك.

رفعت عينيها البنفسجيتين اللامعتين في ضوء القمر إليه فصاح بذهول:

- انت الجمال عينه!

ولف ذراعه حولها، فحاولت الابتعاد. قال لها:

- لا تخافي شانا.. ألم أقل لك إنني قادر على الوقوف عند حدي؟ هل أحببت من قبل شانا أحداً غير زوجك؟

وهل أحببت تود يوماً؟

احست ان اللون غادر وجهها.. فقالت وقد استحضرت في ذهنها صورة بيري، الواقف هنا في مكان ليس ببعيد عنها، يحتضن

سندي..

ـ مرة.. أجل.

ـ حدثيني عنه.

هزت رأسها:

ـ إنه سرّي الخاص الثمين يا تشارلز.. لذلك أرجوك.. لا تسألني عنه.

ـ سأحترم رغبتك. مع أنني اكاد اشتعل فضولاً.

ـ حدثني عن نفسك إذن. لماذا لم تجد فتاة تستقر معها قبل الآن؟

ـ ماذا تعنين بـ قبل الآن؟ أنا في التاسعة والعشرين فقط.. قد تزيد قليلاً.

ـ حسناً.. لقد تجاوزت مرحلة المراهقة. وعليك الزواج. الم تفكر في وريث قط؟

ـ أظن أن على المرء أن يفكر في وريث. سأقوم بشيء ما في هذا الخصوص في وقت غير بعيد. ولكنني لست ممن يتزوج دون حب، فما الزواج في عرفي مشروع تجاري. قد اكون عابثاً، كما يتهمني بيري، إلا أن عبثي هذا سينتهي حالما يحين وقت الزواج الذي أريد ان يستمر الى الأبد.

جعلتها كلماته الصادقة، تنتفض قليلاً ذلك أنها لم تكن تعرفه جاداً الى هذه الدرجة، قالت بعد قليل:

ـ أليس اختيارك في مكان كهذا محدوداً؟

ـ إلى حدّ ما.. اجل. إنما ثمة أصدقاء لي في كريستشرش أقصدهم في الإجازات احياناً. ولا بد أن أجد أخيراً لي هناك زوجة. أتعلمين أن بيري ادهشنا جميعاً عندما خطب شقيقتي أخيراً.

ـ اخيراً؟

نظرت إلى ما حولها فإذا بها ترى أنهما ابتعدا كثيراً عن انوار الحفلة وانوار المنزل كذلك. ولكنها تعرف ان تشارلز يعرف اين يذهب.

ـ لقد كانت سندي تلاحقه منذ أن كانت في العشرين من عمرها.. وهذا ليس سرّاً... ولكنه لم يكن ينظر اليها. أما هي فكانت تجن غضباً لذلك، ثم حدث قبل أربع سنوات أن سافر الى انكلترا في زيارة قام بها لأقاربه فالتقى هناك فتاة...

ـ التقى فتاة؟

كانت المقاطعة سريعة من غير سابق إنذار حتى أن تشارلز نظر اليها متعجباً.

ـ أجل.. أفي الأمر خطأ ما؟

ـ لا.. لا.. بالطبع لا.. تابع.

ـ لم يذكر أمام أحد أنه التقى بالفتاة.. ولكن يوماً وبينما هو يخرج شيئاً من حافظة نقوده وقعت منها صورة أرضاً، حدث هذا في حفلة. يومذاك كانت امه حية فالتقطتها، وكنت أقف وسندي على مقربة منهما إلا أنهما لم يلاحظا وجودنا.. فسمعناها تسأله عن فتاة الصورة ذلك أن بيري كان يتصرف تصرفات غريبة منذ عودته من انكلترا وكان كتيباً نكد المزاج لا يقوى صبراً على أحد. فأرادت امه معرفة صاحبة الصورة. في البدء لم يعترف بيري لها بشيء، إلا أنه بسبب حبه العميق لها عاد فاعترف لها أنها فتاة التقاها في انكلترا... فأرادت كعادة الأمهات ان تعرف المزيد فسألته بصراحة ما اذا كان قد وقع في حبها واجابها بالايجاب.

ـ هل اعترف لأمه؟

ـ بل اجبرته على الاعتراف. حينذاك أمطرته بالأسئلة غير أنه رفض الرد مع أنني اعتقد أنه قال لها المزيد فيما بعد. كان واضحاً

أن عدم قبولها به زوجاً حطمه.

حطمه.. اعتصر الألم قلب شانا... نعم لا شك في أنها آلمته وهي من احبته حتى العبادة، علمت في تلك اللحظة انه لو عاد الزمان ثانية فلن ترتكب الخطأ نفسه ولن تتخذ القرار نفسه. فسيكون بيري الأول: قبل الواجب، وقبل الضمير وقبل الشفقة. تذكرت شانا أن بيري التقط لها عدة صور... فهمست:

ـ ألم يشاهد تلك الصورة أحد غير أمه؟

لم يكن تشارلز يتوقع منها هذا السؤال، فنظر اليها مستغرباً عندئذ أحست بالخجل يجتاحها:

ـ ليس في ذلك الوقت. لانه انتزعها من امه فوراً.. فلم تلمحها إلا لحظات قليلة... ولكن..

وصمت... فسألته شانا باصرار:

ـ ماذا تشارلز؟

ـ أكره أن اعترف بهذا شانا.. ولكن شقيقتي القت عليها نظرة، دون علم بيري..

ـ كيف ذلك؟

لقد توضحت لها أمور كثيرة الآن. إنها تفهم الآن تلك النظرة الذاهلة التي اعتلت وجه سندي حين قُدمت إلى شانا كما تعرف سبب التعبير الغريب في صوتها وعدوانيتها المفضوحة. سألت بصوت منخفض:

ـ كيف تمكنت من رؤيتها دون علم بيري؟

ـ لقد سرقت المحفظة من جيبه حين كان معطفه معلقاً في ردهة منزلنا، في إحدى الحفلات. ما كان يجب ان افشي هذا السر. فأنت.. غريبة! انسي الامر شانا.. عديني!

ـ اجل.. اجل تشارلز... سأنسى..

اذن.. سندي تعرف أنها الفتاة التي أحبها بيري..

ـ لن اذكر الامر أمام احد. اذا كان هذا ما تريد؟

تنهد بقوة شاكراً ثم أضاف:

ـ كانت سندي ترغب في بيري منذ أن كانت في العشرين لذا غضبت حين اطلعت على امر الفتاة خاصة وأن بيري استمر في تجاهله لها رغم تحطم تلك العلاقة التي ماتت قبل ان تولد تقريباً... لقد تلقى يومذاك ضربة كبيرة، كانت ظاهرة عليه.. ولكنه شفي منها اخيراً، وعاد يهتم بسندي حتى خطبها منذ شهرين.

ـ أيحبها.. الآن؟ اوه.. آسفة.. هذا ليس بالسؤال المناسب. فلا بد انه يحبها... طبعاً.

وما أدهشها أنها لمحت تشارلز يفكر برهة قبل أن يجيب:

ـ أظنه يحبها.. وإلا لما رغب الزواج بها.

حدق إلى ساعته:

ـ لا يمكن هذا...!

ووجه الساعة إليها على ضوء القمر حتى ترى الوقت.

ـ يا الهي.. ستكون الحفلة قد انتهت عند وصولنا..! لم أنتبه إلى مضي الوقت. آه لقد ابتعدنا كثيراً كذلك!

عندما وصلا لم تكن الحفلة قد انتهت، لقد اختفيا ساعة ونصف لذا كان اول ما قاله لهما بيري:

ـ ظننا أنكما تهتما... هل تمتعتما... بالنزهة؟

اصطبغ وجه شانا بحمرة الخجل من جرّاء نبرته الجادة كما أحست فجأة برغبة في البكاء. ولكن لماذا تهتم بما يفكر فيه بيري. وحبه تحوّل إلى جهة أخرى وزواجه وشيك... فلماذا يهمها رأيه؟ شعرت فجأة أنهما غدوا وحيدين بعد دخول تشارلز الى الخيمة

www.rewity.com

الكبيرة ليراقص إحدى مساعدات امه.

ـ اجل.. شكراً لك بيري.. لقد تمتعت بنزهتي.

ـ لقد ابتعدتما كثيراً؟

ـ اجل، كانت المسافة بعيدة.

نظر اليها متفرساً، فرفعت عينيها إليه ويدها على عنقها تحس بألم داخلي في حنجرتها يكاد يخنقها:

ـ أحسبك متعبة، تعباً لن تستطيعي معه مراقصتي.

ردت بنعومة وصوت خفيض:

ـ لست تعبة.

أمسك ذراعها دون أن يتفوه بكلمة ثم اختلط بها مع الزمرة الراقصة الصاخبة.. قادها بسهولة دون عناء بين الراقصين. كان أطول من الجميع بما فيهم تشارلز الذي كان يضحك مرحاً مع رفيقته.

ـ هل اضطررت لمقاومة محاولات تشارلز الغزلية؟ أذكر أنك بدوت واثقة من قدرتك على معالجة الأمر.

كان صوته متوتراً وابتسامته رفيعة ساخرة.. ابقت شانا رأسها مرتفعاً فالتقت عيناها بعينيه المتسائلتين.

ـ لم أكن مضطرة لمعالجة الأمر.. فقد كان مثال السيد المهذب.

ـ طوال الوقت؟

أغضبها تلميحه وآلمها.

ـ لقد تحدثنا يا بيري.. وتمشينا.. ولكن تشارلز لم يحاول شيئاً.

كان صوتها منخفضاً أجشاً ينبعث منه صوت الحقيقة، ذلك الصوت الصريح الحلو الذي عرفه وأحبه.. أحست بجسده

يتصلب، فظنت السبب الذكرى نفسها.

ـ يبدو أن تشارلز احترم رغباتي.

وتوقف ذكر اي شيء في هذا السياق.. ثم قال لها بعد قليل حين توقفت الموسيقى:

ـ عمتك تريد مرافقتي الى كوينستاون يوم الاثنين، فهل ترافقيننا؟

لمعت عيناها:

ـ سأحب هذا. شكراً لك.

لفت لمعان عينيها اهتمام بيري، فمرر طرف لسانه على شفتيه وغدت حنجرته مطبقة حين ابتلع. ثم اشتدت تعابير وجهه وعادت بعيدة.. بعيدة. وقال لها:

ـ ليس هناك الكثير في تلك البلدة. بعض المصارف، والمكاتب والمحلات التجارية، وبضع مطاعم... بالطبع.

ـ سيكون أمراً غير عادي لذا سأجد فيه بعض المتعة.

نظر اليها مكتئباً.. فلاحظت الخشونة حول فمه، واللمعان الغريب في عينيه الذي لم يكن موجوداً في زمن سعادتهما. ترى كيف يبدو عندما يكون وحيداً مع سندي؟ لم تستطع شانا تصوره معها. ربما لأنها لا ترغب في هذا.. ربما يكون مثاراً قرب خطيبته، فسندي ممن يثير الرغبات بجمالها الاسمر وألوانها السوداء وشفتيها المكتنزتين وجسدها..

قطع بيري عليها أفكارها بقوله:

ـ منطقة البحيرات هي أنسب مكان للسباحة. ما رأيك بالقيام بنزهة إلى البحيرات قبل عودتكما؟

ـ هل سترافقنا؟

ـ أظن هذا.. سأجد وقتاً لاصطحابكما وعند ذاك نقضي يومين

هناك.

واستدار حين ظهرت العمة، مضرجة الوجنتين مخطوفة الأنفاس.

ـ يا الهي! لعل وزني قلّ في الساعتين الأخيرتين.. وإلا لما كان الامر يستحق هذا الجهد.

قال لها بيري مازحاً.

ـ أو رقصت فقط لتفقدي بعض الوزن.

تقدمت العمة نحو ابنة أخيها أكثر:

ـ نعم. لقد شاهدتك شانا تذهبين مع تشارلز الفاتن.. فهل أمضيتما نزهة ممتعة عزيزتي؟

ـ ممتعة جداً عمتي.

ـ إنه جذاب. ألا تعتقد هذا بيري؟

رد بنبرة جافة:

ـ أظنه يروق للسيدات.

ـ وحينما راقصك شانا بدوتما دون شك أجمل شريكين.

اوه.. سامحني بيري.. أنت جذاب أيضاً. كما أن خطيبتك الفاتنة جذبت الكثير من الاهتمام.

نظرت شانا الى عمتها باستغراب.. خطيبته الفاتنة.. كيف تصفها بتلك الصفة وهي من أظهرت كرهها وبغضها لسندي في مناسبات عديدة. لم يسبق أن كانت العمة غلوريا بهذا النفاق، وتابعت تقول لشانا:

ـ اجل.. أنت وتشارلز كنتما رائعين.. ألا توافقني الرأي بيري؟

ـ لم ألاحظ هذا سيدة جيليس.

ـ ألم تلاحظ؟ إذن لاحظ في المرة القادمة...

قاطعتها شانا، غير قادرة على تركها تتمادى هكذا:

ـ عمتي.. ليس مهماً ابداً ما أبدو عليه مع تشارلز... اجلسي قليلا... تبدين مرهقة.

ـ شكراً عزيزتي.. ظن ذلك الشاب جايمس أنني سأنسحب أثناء الرقصة الريفية ولكنني لم أفعل.. ولن أفعل؟

ضحك بيري وهو يسمع ما تقول، مما لطّف الجو قليلاً بالنسبة لشانا التي احرجها حديث عمتها. في هذه اللحظة خرج باتريك الذي حالما شاهد شانا دعاها إلى الرقص. وبعد باتريك راقصها مدير حسابات بيري، بيتردين، والطبيب ولانس كالدر، أما بيري الذي كان يراقص خطيبته فجاء في النهاية يطلب منها مشاركته رقصته.

ـ هل نرقص؟

أبدت استعدادها العاجل بمد يدها اليه.. كان ما يفعله بالنسبة له عملاً اوتوماتيكياً، قد ينطبق على اية فتاة أخرى. أما هي فتعتبر هذه الرقصة ذكرى غالية أخرى تضمها إلى مخزونها عنه.

ـ هل تمتعت بالحفلة.

ـ لقد احببت كل لحظة منها!

ـ كل لحظة...

صمت ليسحب نفساً عميقاً ثم أدار نظره فوقع على تشارلز. ولاحظت شانا ان الكلمات بلغت الى فمه ولكن ما هي إلا لحظات حتى استرخت اساريره وكأن قوة إرادية داخلية قد جعلته يكبحها. لم تدر لماذا شعرت أنها كلمات كانت تحمل في طياتها سخرية.

عندما لاحظت التعبير على وجه سندي تلاشت سعادتها. فلقد استعر وجه تلك المرأة غضباً حينما لاحظت توهج شانا. انحنى بيري فجأة وهمس لها شيئاً فلاحظت أن فم سندي التوى وعيناها برقتا.

أهي خائفة؟ كانت الفكرة تتصارع في رأس شانا لانها تعني ان سندي رغم خطوبتها ليست واثقة من بيري... لا.. لا يمكن هذا ربما ما تشعر به غيرة.. غيرة طبيعية لأن خطيبها مهتم بفتاة أحبها يوماً..

راحت شانا تقنع نفسها بأنها لو كانت مكانها لشعرت بالغيرة ذاتها إنما لما استطاعت في الوقت ذاته أن تظهر هذا العداء المفضوح الذي يأكل دون ادنى شك نفس سندي.

* * *

٦ ـ القلب يبكي

كان على العديد من الضيوف، إمضاء ليلتهم في مزرعة جيلبرت ولكن بيري قرر العودة الى مزرعته مخيباً أمل خطيبته التي طلبت منه البقاء.

ـ آسف سندي... ولكننا مشغولون جداً في المزرعة هذه الأيام... لدينا آلاف من الماشية لم تدمغ بعد، علينا البدء بدمغها في أسرع وقت.

ـ لا حاجة بك إلى العمل وأنت تملك ذاك العدد الهائل من العمال والرعاة الذين يستطيعون القيام بكافة الأعباء عوضاً عنك.

هز رأسه بحزم. كانت شانا تقف غير بعيدة عنه فدهشت لأن سندي ألحت على بيري الذي تعرف شانا أنه لا يقبل جدالاً فلو أنها كانت مكانها لتراجعت عن اية محاولة لجعله يغير رأيه.

ـ أنا أحب أن أشرف على العمل سندي.

ـ ليس هذا ضرورياً حبيبي.. أرجوك ابق. فنحن لا نلتقي إلا قليلاً لذا لن أدعك تذهب الى المزرعة قبل الغد!

همس صوت تشارلز في اذن شانا:

ـ ماذا دهى شقيقتي؟ ألا ترى أنها تخوض معركة خاسرة؟ اذا قال بيري إنه ذاهب فهو ذاهب، شاءت أم أبت.

اصبح فجأة صوت بيري الناعم بارداً كالثلج:

ـ لن تدعيني أذهب سندي؟ اهذا ما قلتيه؟

احمرّ وجه خطيبته واشتدت قبضة يدها ثم ردت بتكشيرة قصدت منها أن تكون مزاحاً.

ـ أنت لست لطيفاً ابداً في عدم الانقياد لي بيري!

ولكن لم يكن لقوله أقل تأثير في بيري.. فقد تجاهلها تماماً، وقال ببرود قاطع:

ـ سأراك الخميس المقبل في حفلة الشواء.. والآن سندي يجب أن اذهب لأننا لن نصل الى المنزل قبل الثالثة.

عبست ثانية سندي، وقالت بطريقة مشاكسة:

ـ لدينا غرف كثيرة تضمكم جميعاً، فلماذا تقود سيارتك ما يزيد عن مئة ميل في مثل هذا الوقت من الليل؟ أنا واثقة أن الآخرين لا يريدون العودة في مثل هذه الساعة المتأخرة.

همس تشارلز ثانية مبتسماً:

ـ إنها لا تتعلم ابداً. ولكنه سيعلمها جيداً متى تزوجا!

شاهدهما بيري.. فترك سندي وتقدم منهما.

ـ شانا.. اعتقد أن عمتك جاهزة.. أنا مغادر في الحال.

ـ أجل..

وابتسمت لتشارلز.

ـ عم مساء أم أقول عم صباحاً؟ هل ستأتي الى حفلة الشواء التي سيقيمها بيري؟

ـ بكل تأكيد. فأنا لن أقوى صبراً حتى أراك مجدداً احسبني أجيء يوم الاثنين لأراك فقط.

كان بيري يقطب بشدة، فرد عليه بهدوء:

ـ سنذهب الى كوينس تاون يوم الاثنين، فلن يجديك نفعاً مجيئك.

ـ إلى البلدة؟

كانت صيحة سندي فحيحاً أكثر منه سؤالاً. فقد تبعته وأمسكت بكم قميصه:

ـ هل ستصطحب السيدة بلايث وعمتها معك؟

ـ هذا صحيح... فأنا سأقصد المصرف.

ونظر الى ساعته، فضغطت سندي شفتيها دليل الغضب. لكن الرد الوحيد الذي تجرأت على الاتيان به هو أن تهز كتفيها ببرود.

ـ تصبح على خير.. إلى اللقاء في حفل الشواء.

بقي بيري في طريق العودة الى المزرعة صامتاً صمتاً لم يكن يقطعه إلا ليرد على أسئلة العمة فقط. أما شانا، فقد طرق نعاس شديد أجفانها لم تصح منه إلا عندما كبح بيري السيارة متجنباً ابن آوى الذي كان يجتاز الطريق، وجدت رأسها يستريح على كتفه.. فأبقت نفسها صاحية عمداً حتى وصلوا المنزل.

في الصباح التالي، أيقظها كالعادة صياح الببغاء الاخضر الذي سرعان ما ظهرت وليفته معه، فراقبتهما شانا بسعادة وهما يتمتعان بالفطور الذي كانت تضعهما لهما وللطيور لونا كل صباح. راحت عيناها تتجولان في السهول فلاحظت أن الشمس تلقي أشعتها على أجزاء منها بينما تبقى الأخرى مظللة أو حمراء قرمزية ثم لا تلبث أن تمتزج ألوان السهول حتى تصبح لوناً واحداً ذهبياً. تنهدت شانا لأنها ستفتقد هذا الجمال كله حين يحين أوان المغادرة إلى الأبد هذه المرة. لقد اعتادت على السير صباحاً في عالم سحر أضوائه يغير منظر كل ما يحيط بالجبال والأكواخ والمنزل، سحر يترامى مع هذه السهول اللامتناهية ذات التلألؤ المرجاني والأرجواني العجيب وهناك في البعيد تموج المواشي السوداء المنتعشة تحت الأشعة الذهبية.

لم تكن عمتها قد صحت بعد لتناول الفطور.. هذا ما عرفته لدى دخولها إلى غرفة الطعام الملحقة بالمطبخ الذي انبعث منها رائحة الخبز الطازج واللحم والبيض والقهوة. قال لها بيري:

ـ لم أتوقع نزولك لتناول الفطور. ألم تشعري برغبة في البقاء نائمة؟

ـ لقد أيقظني البيغاء الأخضر.. لقد بت أعشق رؤية شروق الشمس.

جذب لها بيري كرسياً لتجلس إليه:

ـ يبدو أن عمتك اخذت تتمتع بتناول فطورها في السرير. أهي عادة قديمة أم جديدة اعتادتها منذ قدومها الى غريت سليف؟

ـ لم تفعل هذا من قبل.. على الأقل.. ليس منذ أن سكنت معها. إنها تصر دائماً على الاستيقاظ لتعدّ الفطور بنفسها، مع أن هذا غير ضروري.

كانت شانا مع مرور الأيام حائرة من تصرفات عمتها في بعض الأحيان. جلس بيري قبالتها وعلى وجهه سيماء التفكير.

ـ انت محظوظة بعمتك التي لجأت اليها حين مات.. زوجك.

بدا التردد البسيط في ذكر زوجها وكأنه نتيجة تحفظ ما.. ترى أما زال يذكر الجرح الذي أنزلته به؟ لا بالتأكيد ليس بعد هذا الوقت الطويل.

ـ أجل.. كنت محظوظة.

اخذ بيري يطرح على قطعة الخبز الزبدة، وقال:

ـ أخبرتني عمتك بأنك طردت من منزلك؟

هزت شانا رأسها.. فسقطت اشعة الشمس المتسللة من النافذة على شعرها الذهبي، فابتلع بيري ريقه بصعوبة مقطباً، ثم أخفض رأسه الى صحنه:

ـ كان المنزل لشقيق زوجي وقد أراد بيعه طبعاً.

ـ طبعاً! إن تصرفه مجحف فكيف يطردك من المنزل؟

أهي شفقة ما تشعر بها في نبرته؟ إن للكلمة تأثيراً جارحاً.. فالشفقة آخر ما قد تطلبه منه. فلن تستطيع رؤيته يشفق عليها بينما تحظى فتاة أخرى بحبه!

أجبرت نفسها على ابتسامة مشرقة:

ـ انا سعيدة بالعيش مع عمتي، فنحن رفيقتان رائعتان. لقد تبين لي أن تركي ذاك المنزل كان خطوة إلى الأمام، فلو أصاب عمتي المرض تجدني أمامها وإن أتى عليها وقت عجزت معه عن العناية بنفسها وجدتني قربها أرعاها.

اشتد خط فمه.. ومد طبقاً فضياً بصمت الى شانا فتناولت حصتها من البيض واللحم. ثم قال بعد صمت طويل كانّ أثناءه غارقاً في افكاره:

ـ انت قانعة بقضاء حياتك على هذا النحو.

ـ اجل.. اجل.. أنا قانعة.

بعد أن تناولت ما تريد صمت صمتاً غريباً. ولكنه سرعان ما فاجأها بقوله إثر انتهائه من الفطور:

ـ سأمتطي حصاني متفقداً خزاناً يشرب منه القطيع. أتودين مرافقتي؟ فليس من المستساغ بقاؤك وحيدة. ولا أحسب عمتك تستيقظ قبل عودتنا.

قفزت كلمة شفقة إلى ذهنها... واحست فجأة بذراع واقٍ يلفها إلا إن إغراء مرافقته للتنزه على صهوة جواد كان أقوى منها فلم تتردد.

ـ سأحب ان أرافقك بيري.

ـ هيا بنا إذن.. سأطلب تسريج «اونو» لك.

كان جواده جاهزاً، فأخذ اللجام من ريك، الذي عاد فوراً لتحضير الفرس «اونو» التي اصبحت معتادة على شانا الآن. صهلت الفرس عندما رأتها فاكتسى وجه شانا بابتسامة ترحيب. قالت بسعادة:

ـ باتت تعرفني..

قال ريك:

ـ ستفتقدك حين تسافرين، فالجياد تتعلق بفرسانها. اليس كذلك يا ريّس؟

هز بيري رأسه دون ان يتكلم، ثم أعطى شانا يده ليساعدها على اعتلاء صهوة الفرس، فشكرته بابتسامة. أضفت الشمس على المراعي الجميلة المستوحشة ألوانا أخرى منها البنفسجي والذهبي والأخضر النضر. كانت رؤوس العشب المتموج تمتد إلى ما لا نهاية على هذه التربة القديمة قدم الزمن الذي دمغها دمغة العدوانية والوحشة غير المحدودة.

فيما الجوادان يسيران جنباً إلى جنب، استرقت شانا النظر الى الرجل الصامت، الجهم الوجه، المستقيم الجسد، الذي لا يحمل ذرة غير ضرورية من الوزن، فبدا لها مع حصانه وكأنه جزء واحد لا يتجزأ. لقد قررت أن تعتبره رجلاً عرفته في الماضي ولكنها رغم عزمها ذاك لم تستطع ان تكبح خفقات قلبها المدوية حباً لرجل تعلم علم اليقين أنه لن يغفر لها الجرح الذي مُني به بسببها. وهذا يعني أنه وإن لم يكن مرتبطاً لن يرغب في البدء من جديد مع فتاة رفضته وطردته من حياتها غير مبالية بقلبه الذي تحطم بزواجها برجل آخر.

ـ هل تعبت؟

أتى سؤاله بعدما تسارعت خطوات الجوادين:

ـ لا.. بل أنا أتمتع متعة عارمة!

وصمتت.. فبدا أن بيري متفاجئ. شدّ لجام جواده سهواً، فتراجع قليلاً بدهشة فمال بيري الى الأمام ليربت عنقه معتذراً بصمت ولكن الجواد فهم ما يعنيه سيده. نظر بيري إليها فعلمت شانا أنه مثلها، قد صدمته ذكرى.. ذكرى بعثتها جملتها هذه حية حية.

منذ زمن بعيد، كان يضمها اليه بشدة حتى كاد يمنع عنها التنفس يومذاك أحست بالالم فسألها:

ـ حبيبتي.. هل آلمتك؟

فأجابت بلهفة تماثل لهفتها الحالية:

ـ لا.. بل أنا أتمتع متعة عارمة.

لقد تذكر تلك الحادثة بعد هذه المدة كلها. قال لها بشيء من الفظاظة:

ـ سنصل في الوقت المناسب لننضم الى بعض الرجال. أظنك بحاجة إلى شراب؟

ـ سيروي ظمئي شراب بارد.

تركها وحوّل اهتمامه إلى مرأى القطعان وهي ترعى في أسفل السفوح الخضراء.

تفقد خزان المياه اولاً ثم علت وجهه تقطيبة بسبب حالة المياه ومستواه قال لرئيس رعاته برويل:

ـ سأرسل من يصلحه.. عليك في هذه الأثناء أن تبعد القطيع عنه.

ـ لقد أعطيت الأوامر بهذا.. هل نقدّم لك شراباً.

ـ طبعاً..

ترجل عن «فايتر» بينما ربطت شانا اونو..

قال لها مشيراً الى صخرة مسطحة صغيرة:

ـ تفضلي بالجلوس.

ـ شكراً لك.

أجالت نظرها في المكان الذي أشرف على بعض الرعاة والناس في هذه المساحة الواسعة.. وفكرت في المدينة حيث جمع غفير من النساء والرجال يتجولون كجيش من النمل.. إنما الى اين؟ لا وقت لديهم لتبادل الحديث، لا وقت لديهم للتطلع إلى ما حولهم، ولا وقت لديهم للتفتيش عن الجمال الذي ما زالت الاشجار تطلقه، أو للنظر إلى فوق للإعجاب بنافذة قام احدهم بزرعها بالنباتات والأزهار الملونة. في الواقع كل هذا النمل البشري قد ربط حياته في سباق نحو هدف محدد لن يصله ابداً.. لذلك، فلا وقت لديه للوقوف والنظر إلى ما حوله.

هنا الحياة أقل سرعة، والصحبة أقوى والمساحات أوسع مجالاً والهواء أرق نسمات.

تناهى إليها صوت بيري من حيث يقف:

ـ ما هي هذه الأفكار التي تشغل بالك إلى هذا الحد فتجعلك تعبسين تارة وتبتسمين أخرى؟

كان يقف مستنداً الى شجرة باسترخاء تام، احدى يديه في حزامه، والاخرى تدلّك وجهه.. نظرت اليه، والبسمة ما زالت على شفتيها، والقبعة متراجعة الى الوراء وياقة قميصها مفتوحة على عنقها:

ـ كنت أفكر في الفرق الكبير الشاسع بين محيط حياتي ومحيط حياتك. فبلادنا تكتظ بكل شيء فترانا نعيش في علب صغيرة. ربما هي مصممة أحدث تصميم، إلا أنها لا تحل محل هذا الجمال.

ولاذت بالصمت من جديد. أما بيري فرفع حاجبيه بطريقة دفعت الدماء حارة إلى وجنتيها فارتجف فمها استعداداً للتجاوب مع اهتمام بيري.

ـ انت.. تفضلين.. الحياة هنا؟

كان صوته خشناً أجشاً قليلاً فاطبقت الغربة على نفس شانا وما عادت تستطع تفسير احاسيسها المرتجفة، او عواطفها المتصاعدة. ردت مفكرة:

ـ أجل.. افضّلها. فأنا احب الهدوء، والمساحات..

صمتت فجأة وقد تذكرت أنها قالت له هذا في مناسبة اخرى عندما كانا يتنزهان في الدغل، كما تذكرت كذلك كلمات سندي الخبيثة. كلمات صدقها بيري في البداية، ولكنه عرف فيما بعد أنها اكاذيب.

سمعت برويل يقول لها وهو يقدّم لها عصيراً بارداً:

ـ اذن.. يجب أن تبقي هنا، ولا تخشي شيئاً فالرئيس سيجد لك عملاً فنحن بحاجة دؤوب إلى اليد العاملة. أيمكنك الطبخ؟

فضحكت ثم ضحك سائر الرجال المصغين الى حديثه، فنظرت اليهم شانا مجدداً. إنهم رجال ضخام قساة ذوو شهية مفتوحة للطعام، يتناولون كما ذكرت لونا كميات هائلة من اللحم حتى في الصباح. فردت ضاحكة:

ـ لن اتمكن أبداً من طهو وجبات تشبع هؤلاء الرجال الجائعين، فأنا لا أطبخ إلا لعمتي ولنفسي في نهاية الاسبوع فقط.

كان بيري لا يزال يرقبها.. فجاهدت حتى تبدو هادئة متزنة، غير أن طريقته في الكلام معها منذ هنيهه ما زالت مؤثرة فيها.. ففي علامة ذاك ما هو أعمق من سؤال عابر.

قال لها:

www.lewity.com

ـ وكأنك بحق معجبة بجمال بلدنا.

لمست في صوته مرة أخرى إيماءه إلى تيار أعمق.. فأحست معها بحاجة إلى تبني الحذر، مع أنها لا تعلم السبب. ردّت بعد تفكير:

ـ إنها بلاد تفوق أحلامي. فأنا أحب فكرة العيش ملتصقة بأديم الأرض.

كان صوتها خفيفاً، وعواطفها جياشة. قال برويل:

ـ نحن فعلاً نعيش ملتصقين بأديم الأرض هنا.. وماذا عن الأضواء والمرح..؟ ألا تشتاقين إليها قليلاً؟

هزت شانا رأسها:

ـ هناك ما يعوضنا عنها، كالتنزه على الأقدام في الأمسيات واللجوء الى الهدوء بدل صخب الرقص.

ـ ولكنك تمتعت بحفلة الرقص تحت الخيمة؟

ـ طبعاً إلا أن هذا المكان يبعث الى النفس إثارة لا تبعثها قاعات الرقص.

ضحك بضعة رجال وهم يسمعون كلامها، وقال أصغرهم سناً:

ـ لن أمانع أبداً بزيارة قاعة رقص بين حين وآخر. ومع ذلك لا أفضلها على موطني.. فأنا لم أعتد يوماً على حياة المدينة، ولا اظنني سأعتاد عليها.

ـ وهل عشت دائماً على هذه الأرض؟

ـ صحيح.. فقد ولدت فيها فوالدي استوطن فيها منذ أن كان شاباً يعمل لدى والد السيد لونج. إنها عيشة ممتعة ومحببة إلى النفس.

ارتشف ما في كوبه ثم مدّ يده إلى إبريق العصير ليملأه من

جديد.

ـ مستعدة؟ (قال لها بيري بعد أن انهى كوبه).

فشربت ما تبقى بسرعة، وأعطت الكوب لبرويل ثم لم تكن غير لحظات حتى انطلقت وبيري فوق صهوة جواديهما باتجاه المنزل، المختبىء خلف حزام من أشجار المطاط والصمغ الباسقة الضخمة.

كانت العمة غلوريا على الشرفة حين وصلا، فراقبت تقدمهما بعينين ضيقتين.

قالت العمة لشانا بعد أن ذهب بيري:

ـ أكنت تتنزهين مع بيري؟

ـ كانت نزهة جميلة.. لقد تنزهنا ما يقرب من الثلاث ساعات ثم استرحنا مع الرجال لاحتساء شراب بارد.

كانت شانا تحس بأن سعادتها هذه ستمكنها من مواجهة المستقبل الوحيد القادم إليها بسهولة. قبل مجيئها إلى هذه الأرض كانت تتساءل أحياناً عما إذا كانت ستتزوج في وقت ما. أما الآن فباتت مقتنعة بأن هذا مستحيل.

سألتها العمة بعد تفكير:

ـ ما الذي جعل بيري يقرر التنزه معك ثانية؟ إنه مشغول دائماً خاصة في الصباح الباكر، حين يكون الطقس بارداً منعشاً.

ـ كنت نائمة فظن أنني سأشعر بالوحدة إن بقيت وحيدة.

اتسعت عينا العمة، وبدأت تهز رأسها كعادتها حين تغرق في أفكارها. كان بيري الآن قد اختفى نهائياً عن الأنظار فأدارت العمة غلوريا عينيها الى وجه ابنة اخيها.

ـ ما ألطفه!

ـ كان ذاهباً لتفقد خزّان مياه.. فقال إن بإمكاني مرافقته.

تمتمت ثانية وهي لا تزال تهز رأسها:

ـ لقد كان لطيفاً بتصرفه ذاك.

ـ تتصرفين بطريقة غريبة.. ماذا تضمرين يا عمتي؟

انتفضت العمة عندما سمعت هذا السؤال ولكنها قالت بقوة:

ـ ليس لدي ما أضمره.. ما الذي دفعك إلى هذا السؤال؟

ـ الحالة التي أنت عليها لا أستطيع تفسيرها، لكنك لست على طبيعتك.

عبست عمتها في وجهها ولكن شانا نظرت اليها بريبة وهي متأكدة من أن هذا التظاهر بالحيرة زائف. قالت العمة:

ـ أنت تتخيلين الأشياء عزيزتي، فانا في شوق إلى زيارة كوينس تاون ألا تشعرين بالشوق؟

ـ اجل.. قال بيري إنه قد يجد بعض الوقت ليصحبنا الى البحيرات.

ـ صحيح؟ كنت أظنه كثير المشاغل على القيام برحلة ترفيهية كهذه.

صمتت شانا لحظات ثم:

ـ متى تفكرين في العودة الى الوطن عمتي؟

ـ أو تريدين العودة؟

ـ ليس في الواقع..

صعب عليها ان تشرح، فصمتت تفكر.

ـ ما زلت تحبينه.. أليس كذلك شانا؟ (سألتها العمة).

ـ لا.. قلت لك إنني ما عدت أحبه. لقد اختلفت أحاسيسي بعد أن التقيته ثانية.

وصمتت.. فلو علمت العمة الحقيقة لتألمت كثيراً لأنها من اقنعت ابنة أخيها على المجيء الى نيوزيلندا.

كان اليوم التالي أحداً اتصل فيه تشارلز بالمزرعة عبر الراديو طالباً التحدث إلى شانا التي بلغت الرسالة من قبل بيري نفسه.

ـ يريدني؟

ـ أجل.

أسرعت إلى المنزل.

ـ مرحباً! كيف حال شقرائنا اليوم؟ (حياها تشارلز).

ـ بخير، ولكن لماذا تريد التحدث اليّ؟

ـ أيجب ان يكون هناك سبب؟

ـ لا.. إنما لا أرى...

ـ أردت تبادل الحديث معك فقط.. ماذا كنت تفعلين؟

ـ أتشمس.

ـ بمَ؟

ـ بمَ؟ اوه.. تعني أين.. فوق المرجة!

ـ أيتها الخبيثة... أعني ما قلته.. بمَ؟ أبثوب سباحة مؤلفة من قطعتين.

احمرّ وجهها ولكنها تمكنت من الرد عليه باللهجة العابثة نفسها:

ـ أجل... كنت أرتدي قطعتين.

ـ كنت؟

ـ وما زلت.. إلا أنني سترت معظمه، بروب.

ـ آه ليتني كنت هناك قبل أن تضعي الروب!

ـ أنت تعبث تشارلز.. لقد حذرني بيري منك. أتذكر؟

ـ اوه.. هو...! أتصدقين كل ما يقوله لك؟

ـ إنه مضيفي.

ـ آه ليتك ضيفتي!

ـ وهل سأكون آمنة؟

ـ اجل.. إذا أردت هذا... شانا أنا مسافر الى كريستشرش بعد حوالي الاسبوع.. أترافقيني؟ سأزور جدتي التي يعيش معها ابنا عمي. ليتك ترافقيني.

بحثت عن حجة للرفض دبلوماسية.

ـ سأستشير عمتي أولاً..

ـ ولكنني لا أدعو عمتك، بل أدعوك انت. سنقيم مع أقاربي يومين او ثلاثة، نزور خلالها معالم المدينة ونقصد المراقص ونشاهد المسرحيات والاستعراضات ونسبح على الشاطىء الدافىء. فكري في دعوتي شانا.. أتعدينني؟

ـ لست أدري تشارلز.

ـ ستكونين آمنة كما لو كنت مع بيري.

ـ أنا واثقة من هذا تشارلز، فلا تعد إلى ذكر هذه العبارة ثانية. المسألة كل المسألة أنني لا أستطيع ترك عمتي.

ـ ستعجبك الرحلة.

ـ لا.. لا أظن.

لم يكن هناك مجال للباقة مع تشارلز، فهو لن يتراجع بسهولة.

ـ أشكرك على دعوتك ولكنني آسفة لن أستطيع.

سمعت الآن تنهيدة:

ـ وهل أنتم ذاهبون في الغد الى كوينس تاون.

ـ هذا صحيح.

ـ أتتوقين إلى الرحلة؟

ـ طبعاً.

صمت صمتاً غريباً لم يلبث أن قطعه بصوت خفيض دفع شانا

إلى ان تصغي جيداً لتفهم كلماته:

ـ قد يهمك.. أو لا يهمك.. أن تعرفي. أن شقيقتي تغار منك.

ارتجف صوتها:

ـ تغار؟ ماذا تعني يا تشارلز بحق الله؟

ـ اوه.. تعرفين النساء.. إنها لا تحب أن تعيش فتاة أخرى جميلة بل خلابة في منزل خطيبها، وأعتقد أن هذا أمر طبيعي.

إن سندي تعرف انها هي الفتاة التي أحبها بيري يوماً بينما تشارلز يجهل هذا الواقع، ويجهل حساسية الموقف. قالت:

ـ وهل ذكرت سندي أمامك شيئاً عن الموضوع؟

ـ ليس بكلمات كثيرة. ولكن لا يصعُب علي قراءة أفكارها، لقد تدربت على فهمها منذ سنوات.. للتسلية فقط.. إنها تكره فكرة نزهاته معك كما انها تكره ذهابك معه إلى البلدة.. اسمعي.. لا تبوحي بهذا ابداً.. إنه سرّ بيننا.. فكرت أن أذكره لك، دون أن أدري السبب.

ـ لن اقول شيئاً تشارلز.

ـ أين بيري الآن؟

ـ لا أعرف. كان في الحديقة منذ لحظات.

ـ وهل أعدّ العدة لحفلة الشواء؟

ـ أظن هذا.. ريك مشغول بتعليق المصابيح على الشجر، ولونا كانت تتشاجر مع مساعدتيها بسبب العمل الإضافي.

ـ لا ادري لماذا يتشاجران ما دمن سيحظنني بمساعدة كافية. أنا أعرف بيري، ما من احد منا يفكر في عماله كما يفعل هو. لا ادري كيف ستتصرف هؤلاء الخادمات حين تصبح سندي سيدتهن، فهي تتمتع بعرض سلطتها وتفوقها على خادماتنا.

قطبت شانا، فهي تكره منه هذا التشهير بأخته ولكن يبدو وكأنه يقول ما يقول عن غير تفكير.

ـ أظن من الأفضل أن أذهب الآن تشارلز. لقد حان وقت تناول الشاي، وعليّ أن أستحم وأغير ملابسي.

ـ حسناً.. اراك في حفل الشواء.. باي يا حلوتي!

احست بالتوتر فجأة، فلمّا التفتت رأت بيري يقف خلفها ونظرة ساخرة تعلو وجهه.

ـ وماذا يريد كازانوفا أن يقول لك؟

ـ كان يرغب في محادثتي... أتمانع؟

ارتفع حاجباه:

ـ أمانع؟ ولمَ أمانع؟

أحنت رأسها فرأت تعبيره المتألم.

ـ بدوت.. منزعجاً.

انسدل شعرها الاشقر مشكلاً ستارة حول وجهها تحميها بطريقة ما، فتأملها بيري لحظات طويلة مفكراً تفكيراً عميقاً. قالت أخيراً تقطع الصمت المشبع بالتوتر بينهما:

ـ هل أنت غاضب مني.. بيري؟

ـ ولماذا أغضب؟ لك أن تفعلي ما تريدين... ولكنني حذرتك من تشارلز.

وكأنما كلمات التحذير الجديدة كانت وليدة انفجار داخلي يعتمل في نفسه.

فردت بهدوء:

ـ إنه يعرف حدوده معي.

ـ لماذا أراد أن يكلمك إذن؟ أم أن هذا أمر شخصي؟

ـ لقد سبق أن قلت لك إنه أراد محادثتي.

لم تشأ أن تخبره عن الدعوة التي وجهها تشارلز لها. ولكنها حين نظرت الى وجه بيري، استنتجت أنه سمع على الأقل جزءاً من حديثهما.. فتابعت:

ـ طلب مني مرافقته الى كريستشرش لزيارة جدته.

شاهدت فم بيري يشتد ويصبح خطاً رفيعاً.. لماذا هذا الاهتمام الشديد؟ فبعد ان عاملها بعدم اكتراث ظاهر في البداية، عاد الآن يظهر اهتماماً جامحاً بها.

ـ وهل ستذهبين معه؟

هزت رأسها نفياً.

ـ لا.. قلت له إنني لا أستطيع ترك عمتي.

نظر اليها بقوة وقساوة.

ـ أراد منك أن ترافقيه وحدك؟

بللت شانا شفتيها بطرف لسانها.. لمَ هذا الاحساس بالخوف؟ إنها لم تخف من قبل.. من بيري.. ولكنه نوع غريب من الخوف فهي تشعر بارتعاشة حقيقية بعثت خفقات قوية مؤلمة إلى قلبها.

ـ اجل.. لقد اقترح أن أذهب وحدي فرفضت طلبه.

صدمها موقفها الدفاعي هذا. كانت تريد أن تهدىء غضبه وكأنما له سلطة ما عليها! وقد نجحت إذ سرعان ما استرخت اسارير وجهه، وبدا متأثراً بلهفتها لتهدئة خاطره، وكأنما اراد ان يريح لها بالها أيضاً فابتسم قائلاً:

ـ أنا مسرور شانا لأنك أظهرت هذا التعقل. كان على تشارلز ان يكون أكثر حكمة فلا يطلب منك الذهاب معه وحدك.

استجابت شانا لبسمته، وعاد عالمها مشرقاً ورودياً، وقالت:

ـ لا أظنه فكر ملياً في الأمر. إنه دون شك اعتقد انني سأجد متعة وإثارة هناك.

- وهذا صحيح... اليس كذلك؟

- لدي اشياء كثيرة أخرى تهمني عدا الاثارة. أنا على اية حال، لست معتادة على هذا النوع من الاثارة.. والمرء عادة لا يشتاق إلى ما لا يملكه.

تمتم بيري مفكراً، ينظر اليها:

- لم تعرفي الكثير من الاثارة.. هل كانت حياتك مملة شانا؟

أيسألها ما اذا كانت نادمة؟ اجل.. اوه.. اجل! قلبها يجيب عنها. فقد كانت وهي في الحادية والعشرين عمياء. أعماها الواجب وجعلها تضحي بقلبها كما جعلها تجرح الانسان الوحيد الذي احبته. اكتشفت منذ أن وطئت قدماها هذه الأرض ما جنته يداها قبل اربع سنوات. أحبها بيري بشغف وعلم بأنها تحبه فتصور مستقبلهما مزهراً ومستقراً حتى أتت هي فجأة وهشّمت أحلامه ودمرتها ولكنها لم تؤذه وحده بل أذت نفسها أيضاً. كانت تلك الحادثة التي وقعت لتود مشؤومة جعلتها تختار الواجب على الحب. عصر الالم.. والاحباط.. قلبها فبيري لن يغفر لها أبداً.

ردت عليه، بعد ان أدركت أنه ينتظر ردها:

- في معظمها... أجل.

- معظمها.. اي أنك حصلت على فترات أقل ضجراً؟

ماذا يسألها الآن بالضبط؟

- بعد.. بعد زواجي.. لم يكن هناك.. اي... اي...

وتدفقت الدموع دون توقع فخنقت تتمة الجملة. كانت تلك اللحظة مشحونة بالتوتر وبالمشاعر، ولكنه كان قاسياً دون رحمة في اصراره.

- وقبل الزواج.. شانا؟ قبل زواجك.. أكان هناك إثارة؟ أعرفت معنى السعادة...

صاحت متألمة:

- توقف.. ارجوك! لماذا تحاول ان تعذبني؟ أعرف أنني اتخذت القرار الخاطىء.. فلا داعي إلى تذكيري.

- ولكنك في ذلك الوقت، كنت ترينه القرار الأصوب.

نفرت شرايين زرقاء فوق صدغيه الاسمرين واحمرت عيناه واشتعلتا غضباً:

- قبل زواجك عرفت معنى الحب.. ومع ذلك رميت به بعيداً. وكأن لا قيمة له!.. دموع.. ما أسهل ذرف الدموع.. وهل بكيت...

- لم استطع بيري... بدا لي.. شلتني المأساة.. وفقدت المشاعر أسابيع.. ماذا تحاول ان تفعل بي؟ كان هذا كله في الماضي... أما الآن فلديك امرأة أخرى.

نظر اليها وقد انحسر الروب عن جسدها الفتي الجميل، ثم ابتلع لعابه بصعوبة، وكأن شيئاً مؤلماً عالق في حلقه ولكن الشفقة كانت غائبة عن فمه الصارم. ثم قال أخيراً وهو يرتد عنها:

- اجل.. اجل.. كان هذا كله في الماضي، أما الآن فلدي امرأة أخرى.

استدار إليها ثانية فضاقت عيناه على جسدها قبل أن يعود فيغادر الغرفة..

* * *

٧ ـ في قلب الأدغال

كان من الطبيعي أن يترك ما جرى بينهما أثراً عميقاً في نفسها. فحينما وقفت أمام النافذة بعد نصف ساعة كانت مضطربة من جراء المواجهة. لماذا بعث بيري الماضي حياً هكذا؟ إنها لم تتوقع منه ذلك أبداً، فهو ممن يحافظ على مشاعره مكبوحة وبحزم. ولكن تصرفاته الهادئة تزعزعت واضطربت وغدت غضباً عنيفاً يشبه غضبه الذي شهدته قبل أربع سنوات ولكنه في ذلك الوقت لم يكن مخيفاً كما الآن ذلك إنه كان يومذاك يدافع عن مستقبله، ليجعلها ترى بوضوح ما تفعله بهما معاً.

لم تذهب في أفكارها بعيداً حين بدأت تسأل نفسها ما إذا كان عليها العودة الى الاسفل، فلا بد أن عمتها وبيري سيتساءلان عن سبب تأخرها عن موعد الشاي. ولكن التفكير بالطعام كاد يصيبها بالغثيان، فقالت لنفسها: سأفعل ما يحلو لي! لماذا أضطر دائماً إلى أن اخضع تصرفاتي لحاجات ومرضاة الآخرين؟ لن أفعل ذلك بعد الآن! لانني حرة.. في أن أفعل ما أريد.

جعلها مزاجها هذا ترغب في عزلة لن تجدها إلا خارجاً في البريّة.. حيث لا حاجة للكلام.. أو لادّعاء سرور ليس في قلبها منه أثر ولا حاجة إلى أن تكبح دموعها مستعيضة عنها بابتسامة مصطنعة، ولا حاجة إلى أن تجبر نفسها على الطعام إرضاء

لشخصين يراقبانها. لا.. لن اجلس هنا لافعل ما يريده الآخرون مني..! لا أريد أن آكل أو أشرب كما لا أريد أن أشترك في حديث! ولماذا اضطر إلى الضحك وأنا بأمس الحاجة إلى البكاء؟ لماذا لا أستطيع أن أفعل ما يحلو لي؟

وتدفقت الدموع، فتركتها على غاربها.. دون أن تسعى إلى منديل... سارت نحو الهدوء والسكينة.. ما أروع الابتعاد عن الناس إلى أحضان الطبيعة. ابتسمت عندما رأت سرباً من أسراب الطيور... هذه هي الطبيعة.. وهذه هي مخلوقاتها التي لا تؤذي أبداً.. لقد خرج بيري عن طوره وآلمها.. نبش الماضي دون اي سبب. لم يعد يهمه ما حدث.. لانه رجل مستقبله مستقر امامه.. مع زوجة يعود اليها بعد يوم عمل مرهق.. وأطفال سيأتون قريباً، اطفال سينمون أمام عينيه الراضيتين السعيدتين. أما هي فستفقد كل سعادة. فلماذا ينبش الماضي؟ أليؤلمها فقط؟

كانت الشمس قد أذنت بالمغيب حين اكتشفت فجأة أنها قد سارت أميالاً عديدة.. نظرت الى ساعتها فقفز قلبها فزعاً لأنها أدركت أنها ما زالت تسير منذ ساعة ونصف تقريباً. فالظلام يوشك أن يحل وعندها ستجد صعوبة في إيجاد طريق العودة... طريق العودة. خفق قلبها خفقة أخرى قوية لظهور حقيقة اخرى امامها.

إنها لا تعرف أي اتجاه سلكته ولن تتذكر الاتجاه في الأدغال التي سارت فيها.. فالتفتت حولها! ربما تستطيع رؤية أنوار المنزل، بعد قليل حين تُضاء..

ارتدت على الفور تعود أدراجها على الطريق الذي كانت تسير عليه. ولكن لم تكد تقطع مئة يارد حتى وقفت جامدة، مرتبكة لا تعرف أي اتجاه تسلك. لقد سارت معمية القلب لا تنشد إلا العزلة فلم تتوقف لحظة للتفكير في الرجوع.

اتجهت يساراً تسير بسرعة ولكنها بعد أن قطعت ربع ميل التفتت فشاهدت الطريق خلفها فإذا بها ترى انها سلكت دون ريب اتجاهاً خاطئاً. ولكن ما ان عادت الى التقاطع، حتى عادت الى الحيرة: أظن أنني كنت اسير في خط مستقيم.. اجل إن أكملت طريقي بشكل مستقيم فقد أكون في الاتجاه الصحيح...

ولكن سرعان ما طالعها تقاطع آخر فآخر حتى أخذ الظلام يخيم على الأدغال فعلمت أنها تاهت..

كم من الوقت نامت؟

جلست شانا فوق العشب المرتفع تنظر في العتمة إلى ما حولها. ما من ضوء في أي مكان.. كم الساعة الآن؟ لا تذكر إلا أنها سارت وسارت حتى مات أملها برؤية أنوار المنزل. فجلست تستريح تضع رأسها على ذراعها ولكنها بعد ذلك لا تذكر شيئاً.

جمدت صرخة ابن آوى الدم في عروقها فقد بدد ذاك العواء الصمت الملموس حولها ولكن سرعان ما عاد مجدداً يطبق على كل شيء ممتزجاً بالظلمة القاتمة مخلفاً عالماً ضبابياً غامضاً من الفضاء اللامتناهي. ليس حولها إلا فراغ وفراغ.. فارتجفت واستوت قاعدة. تدفع الى ذاكرتها الخفية كل تفكير بعمتها وبيبري وبالقلق الذي يعتمل وسيعتمل في نفسيهما حتى يجدوها.

سعت عوضاً عن التفكير فيهما إلى تأمل ما حولها في الظلام فلم تر إلا جبالاً لا حدود لها. عندئذ قررت أن من العبث التحرك لسلك سبيل ما، فجلست ثانية. تحس بفمها جافاً وبأطرافها مجمدة من جرّاء الجلوس ساعات في وضعية واحدة. احست بالرجفة تغمرها حين سمعت من جديد عواء ابن آوى. فقد بددت تلك الصيحة الفراغ الذي حولها وجعلها تعرف أنها ليست المخلوق الوحيد في ذلك الظلام. الصمت المخيف الذي تلا عواء ابن آوى

نزل عليها وكأنه غطاء من نوع ما منع عنها التنفس، حتى خافت أن ينتهي ما حولها من مخزون الهواء.

عندما ازداد ارتباكها تركت لتفكيرها العنان.. فتصورت قلق عمتها وقلق بيري، وشاهدت كل من في المزرعة مستنفر بحثاً عنها.

ـ اوه... يا الهي!.. ما الذي دفعني إلى هذا؟

احست للحظات بالرعب.. إنها تفضل أن تموت هنا.. على أن تواجه غضب بيري حين يجدها أحد أفراد فرقة التفتيش التي بدأت دون شك في البحث عنها.

كان ظمؤها يتعاظم وفراغ معدتها يشتد ويشعرها باهتياج هو مقدمة للوهن الذي يسببه الجوع. كم من الوقت ستمكث هنا حتى يجدها أحدهم؟ كانت متأكدة من ان بيري سيشارك في التفتيش.. وهذا يعني ان عمله في كوينس تاون سيؤجل ولن يلبث أن يغضب عليها غضباً يشبه النار البيضاء.

اعترفت أنها تستحق غضباً كهذا. مسكينة عمتي.. هي دون شك لم تأو الى الفراش بل تجلس ساعات الليل الطويلة قلقة على سلامة ابنة اخيها. آه ليتني أرى ساعتي فقط لأعرف الوقت.

انزلقت إلى مستوى العشب خشية أن تجذب انتباه ثور بري هائج أو بنات آوى. فكان أن رقدت مسمرة بهدوء تبدو لها اللحظات ساعات، والساعة دهراً ملؤه عذاب الضمير لما أنزلته بنفسها وبالآخرين.

فلنفترض أنهم لم يجدوها.. ولكنهم سيجدونها!

وبدأ الرعب يأكل اعصابها فقد تصورت نفسها تضعف وتضعف...

* * *

www.newwity.com

فجأة سمعت صوت محرك فوق رأسها، فتمكنت من رفع نفسها من الوضع الذي تكورت فيه بين العشب، ولوحت بذراعها.. بضعف.. فقد مر على تركها المنزل أربعاً وعشرين ساعة، أفقدتها خلالها الشمس كل قطرة ماء في جسدها وكل قوة تملكها. فبعد أن سارت ساعات في الصباح، استسلمت للتعب واستراحت تحت ظل شجرة صغيرة.. في تلك اللحظات سمعت صوت الطائرة الصغيرة ولكن نعاسها ودوارها جعلاها لا تستعيد وعيها إلا بعد وقت كانت فيه الطائرة قد ابتعدت حتى توارت عن ناظريها. في تلك الساعة لوّحت ذراعيها بقوة ثم لم تلبث أن تدفقت دموع الإحباط بغزارة عظيمة.

بقيت في العراء فترة طويلة مرهفة تعاني من التعب ومن حروق الشمس التي لذعت ذراعيها وساقيها. فسعت مرة اخرى الى الاشجار.. واختار القدر مرة أخرى هذه اللحظات لمرور طائرة التفتيش فصاحت وهي تركض خلفها:

ـ عودي الى هنا.. عودي!

وانهارت حيث كانت تقف.. ولم تتحرك من موضعها حتى الآن.... وها هي في هذه اللحظة تسمع أزيز الطائرة للمرة الثالثة.. فراحت تلوح وتلوّح يساعدها الرعب.. في البدء لم يرها.. فقد ابتعد ولكنها راحت تصرخ رغم معرفتها بعبث ما تفعله.

ـ لا تذهب! انظر الى الوراء! ارجوك انظر الى الوراء!

نظرت الى الجسم الاسود في السماء.. كان جسدها مفصولاً عن تفكيرها، فلم تكن تشعر بأطرافها. أما معدتها وفمها فماتا ولم يبق إلا دماغها يصرخ بصمت حتى يرجع الطيار إليها.

استدارت الطائرة فجأة.. فاستعادت شانا الاحساس بجسدها، وخفق قلبها بقوة، وتوترت اعصابها الميتة.. فرفعت ذراعيها. لقد شاهدها.. ما إن انبعث الأمل إلى قلبها حتى عاد إليها الإحساس بالضياع إنما هذه المرة كان له تأثير على عقلها ودماغها قبل جسدها. وفيما كانت ترى الطيار يدور ويدور بطائرته حتى يحط أرضاً خرّت الى الارض تحس بشلل مضيء يغمرها.. شلل نتج عنه فقدان وعي كامل.

صحت على جدران بيضاء وعلى رائحة الادوية المطهرة.. فأدركت أنها في غرفة مستشفى.. إنها تلك المستشفى الصغيرة قرب المدرسة التي شاهدتها وعمتها اكثر من مرة وهما تتمشيان.

أغمضت عينيها ثانية.. تحس بأطرافها محترقة.. ثم راح الضباب ينجلي بطيئاً أمام أشعة الشمس الدافئة فتذكرت كل ما حدث لها منذ أن انطلقت إلى البرية انتهاء بالراحة التي تسللت إلى نفسها بعد يأس.

ولكن.. ماذا جرى بعد ذلك؟ وكم مضى عليها هنا؟ ادارت رأسها لأنها شعرت بحركة ما قرب السرير... رفعت نظرها لتنظر الى عيني صاحب مزرعة غريت سليف.. المتعبتين. لم يخرج من بين شفتيها أي صوت رغم رغبتها في الاعتذار على ما سببته من متاعب.

ـ كيف تشعرين الآن.. شانا؟

نبراته هادئة نعم إنما قلقة أيضاً.. فانتفضت تتساءل كيف استطاع كبح غضبه وماذا سيفعل لو قالت له إنها بخير.

ـ أنا بخير. (قالت بوهن).

ـ لكنك محروقة.. تشعرين بالالم؟

ـ اجل.. هناك ألم لاذع في قدمي وذراعي.. أنا آسفة جداً

بيري.. لما سببته من متاعب للجميع.

وصمتت، بعدما رأت أن أي اعتذار أو تبرير سيكون سخيفاً..

ـ هل انت من وجدني؟ (عادت تسأله).

ـ اجل.. بعد أن بدأت أفقد الامل. كنت أعلم أنك لم تبتعدي كثيراً، سيراً على قدميك. ومع ذلك لم أستطع أن أراك.

ـ سمعت الطائرة مرتين. ولكنني كنت في كل مرة أفيء إلى شجرة. وكنت في المرتين نائمة ولكنني حينما كنت أسمع الأزيز كنت أركض إلى العراء فأرى الطائرة قد توارت بعيداً. كنت انت في الطائرة على الدوام؟

ـ استرحت أكثر من مرة فقد شاركني بقيادة الطائرة لانس.

كان وجهه متجهما.. أكان قلقاً عليها يا ترى؟ ولكن أجل.. هذا طبيعي. سيقلق على أي إنسان يضيع في البرّية. فلم تكن بالنسبة له الفتاة التي أحبها يوماً بل فتاة تائهة في الأدغال.

ـ ما الذي دفعك الى الهيام على وجهك دون أن تقولي شيئاً لأحد.

احمرّ وجهها حائرة من الرد. إنه السؤال الذي كانت تخشاه منذ أن اكتشفت أمر ضياعها.

ـ كنت أحس برغبة في العزلة.

يا لهذه الحجة الواهية. كادت تندفع بتهور إلى البوح بالحقيقة. كانت ستعترف أنها أحست بجرح عميق لما حدث بينهما فشاءت أن تلوذ إلى الوحدة والصمت والهدوء لتذرف الدموع دون خجل أو تردد.. ولكنها اخيراً أردفت:

ـ ليس عندي عذر في الواقع.

كانت تعلم أنه غاضب غير انها أحست بتردده في إظهار غضبه وهذا ما أكدته كلماته.

ـ أنت سالمة.. وهذا ما يهم الآن. ستبقين في المستشفى يومين.

ـ يومين؟

رد بحزم:

ـ نعم شانا.. ستبقين يومين تحت المراقبة.. وهذا امر طبيعي أمر به الطبيب.

ـ وعمتي.. هل قلقت عليّ؟

ـ طبعاً.. قلقنا عليك جميعنا.

ـ آسفة...

ولكنه قاطعها بخشونة:

ـ لا تهتمي بهذا... عمتك نائمة الآن، ولذا لا تجدينها هنا. جلست معك فترة بعد أن حملناك الى المستشفى غير أنني طلبت منها أن تخلد الى النوم.

ـ أبقيت مستيقظة طوال الليل؟

نظر مباشرة الى عينيها:

ـ لم يطبق لنا جميعاً جفن طوال الليل فالقرية كانت بأفرادها جميعهم مستنفرة.

ثم لم يلبث ان وقف ليدير رأسه نحو الطبيب الذي دخل لتوه.

ـ لقد صحوت اذن... عظيم!

وتجهم وجه الدكتور بورغلي.

ـ ما الذي دفعك إلى هذا العمل بالله عليك؟ ألم يحذرك أحد من عاقبة مخالفة قوانين المنطقة!

ـ أجل لقد حذرني بيري منذ وصولي...

وتحشرج صوتها فتدخل بيري:

ـ دع الامر حالياً أيها الطبيب. سأذهب الآن، وستحضر عمتها

في المساء.

سألته شانا دون تفكير:

ـ وأنت بيري.. هل ستأتي معها؟

كان رد بيري نظرة غريبة. ولكن الطبيب اجاب عنه:

ـ الرئيس بحاجة الى الراحة. بحث عنك أربعاً وعشرين ساعة أو ما يزيد.

خجلت شانا من نفسها، فأدارت وجهها ولم تمض لحظات حتى أصبحت وحيدة.

أتت عمتها بعد العشاء مع بيتر دين الذي شارك هو أيضاً بالبحث عنها وقد استسلم بعد الظهر للتعب فنام. جلست العمة على كرسي في مواجهتها تبتسم:

ـ هل أنت أفضل حالاً الآن عزيزتي؟ لقد أوى بيري إلى فراشه حالما وصل الى البيت، ولكنه ترك لي رسالة يخبرني فيها أنك بخير استلمتها بعد استيقاظي.

ـ لا أدري ما أقول عمتي.. انا آسفة لما سببته لكما من قلق.

قاطعتها العمة بسرعة:

ـ لا تفكري في هذا الآن يا طفلتي.. لقد انتهى الامر.. وعدت سالمة الى البيت.

ـ لا أدري لماذا أقدمت على تلك الفعلة غير أنني أحسست بالحاجة إلى العزلة التّامة.

نظرت اليها بجدّ:

ـ أشعرت بالتعاسة بسبب امر ما؟

ترددت شانا.. ولكن عمتها التي تعرفها جيداً لن تخدعها أية كذبة قد تخترعها ابنة شقيقها. فاطرقت برأسها، تعترف بأن تعاستها كانت سبب تيهها. سألتها عمتها بالطبع عن سبب التعاسة،

فاعترفت ثانية:

ـ كان بيري قاسياً معي.. ذكرني.. بالماضي...

حلّ صمت ثقيل تلاشى فيه كل توتر العجوز التي ابتسمت في الواقع.

ـ أو ذكرك به حقاً. غريب؟ إنما لما تأثرت هذا التأثر كله، عزيزتي؟ فأنت ما عدت تحبينه.

كان هناك بعض الخبث في كلامها، فحارت مرة أخرى من تصرفات عمتها الغريبة.

ـ رغم ذلك تألمت ذلك أن نبش الماضي يؤلم دائماً.

ـ أجل.. ربما.. أظنه يؤلم.. ماذا قال لك بالضبط عزيزتي؟

ـ ذكرني بالقرار الذي اتخذته. ذكـ.. ذكرني.. بأنه قرار خاطىء.. إنه.. إنه.. لقد بدا منزعجاً رغم ارتباطه بفتاة أخرى.

ـ منزعج؟ أليس غريباً انزعاجه؟

ـ تذكر جرحاً قديماً لذا من الطبيعي ان يُبدي الانزعاج لما عاناه في الماضي.

طافت ابتسامة غريبة على فم العجوز:

ـ أظنك على حق عزيزتي. إن المرء دون ريب ينزعج حين يتذكر ألماً قديماً. كان بيري هنا حين استعدت وعيك.. فكيف تصرف؟ أعني.. أكان غاضباً منك؟

ـ لا.. أبداً.. ولم أفهم السبب. لأنه دون شك كان غاضباً على الازعاج الذي سببته للجميع وعلى تأخير زيارته إلى كوينس تاون، ولكنه لم يظهر غضبه. بل على العكس كان في غاية اللطف.

ونسيت وجود عمتها لحظات وهي تستعيد صورة بيري وشريانه ذاك الذي كان ينبض على فكيه حين كان يقول إنه كاد يفقد

الأمل.. أجل.. منذ أن فتحت عينيها، فرأته واقفاً قرب سريرها، أحست بلطفه ورقته لطف كان مألوفاً لديها في تلك الايام حين كانت الفتاة الوحيدة في حياته. الفتاة التي كان يأمل في ان تكون عروس مزرعة «غربت سليف» الرابعة.

وبرقت عيناها للذكرى، فادارت رأسها لئلا تلاحظ عمتها ذلك..

ـ كان لطيفاً معك.. صحيح؟

قالت العمة ذلك وكأنها تكلم نفسها ثم غاصت ثانية في أفكارها إلا أن ما كان يشغل بالها أمر ملؤه الرضى لا علاقة له بما جعل ابنة اخيها تكاد تجهش بالبكاء...

* * *

٨ ـ لا أطلب شفقة

تلقت شانا في يومها الأول في المستشفى زيارة سيدتين أو ثلاث من زوجات الرعاة ممن تعرفت عليهن وعمتها أثناء تنزهاتهما اليومية وقد حملن معهن الزهور والفاكهة والكتب، لتتسلى بها أثناء وحدتها. أما بيري فجاء قبل الغداء ليوصل عمتها ولكنه بعد الظهر عاد وحده فقال لشانا إن العمة تستريح الآن، وهي ستقصد المستشفى في السادسة.

قالت شانا له بوهن عزيمة، لاحساسها العميق بالذنب:

ـ إنها متعبة. أليس كذلك؟

كان بيري عندما زارها في الصباح متحفظاً غير أنها علمت أن عليها قريباً مواجهة غضبه وأسئلته المتعلقة بأسباب عصيان أوامره والذهاب إلى الغابة وحدها. ستعود غداً إلى الدار وعندها سيبدأ بطرح الاسئلة، وبالتأنيب المناسب..

ـ أعتقد أن الجميع متعب. (أجاب باقتضاب).

وقف يشرف عليها وهي مستلقية على السرير. كان شعرها الجميل كهالة ذهبية حول وجهها المستلقي على الوسادة وكانت عيناها النجلاوان البنفسجيتان ملبدتين وشفتاها مرتعشتين حين قالت:

ـ أنا مذنبة أستحق اللوم بيري... أريد العودة.. الى انكلترا!

لا تدري كيف انسلت منها هذه الكلمات فهي لم تشأ قول اي شيء من هذا القبيل غير أن رغبتها المفاجئة في السفر وترك الرجل الذي يثير وجوده فيها جيشاناً من المشاعر، دفعت هذه الكلمات إلى الانسلال قبل أن تستطيع كبحها أو لجمها.

- أتودين مغادرتنا؟

هزت رأسها.. كانت تشيح وجهها عنه، فغاب عنها رؤية الخطوط الرمادية المرتسمة على وجهه... ولأنها لم تجد سبيلاً إلى التراجع أجابت:

- أجل بيري.. أريد الرحيل. لقد تمتعت بإقامتي هنا، أشكر لك حسن استقبالنا. إلا انني أشعر بوجوب التفكير في الرحيل قريباً.

أعقب عبارتها تلك صمت مطبق طويل.

- هل تحدثت إلى عمتك؟

حين هزت رأسها نفياً.. أضاف:

- إنها مسرورة بوجودها في المزرعة لذا أعتقد أن من الخير لها ألا تصر على الرحيل قبل ان تستعد هي. فربما تكون عطلتها هذه آخر عطلة تحظى بها، فهي ليست صحيحة الجسم دائماً. لذلك. لن يكون مستساغاً قطع العطلة عليها.

أدارت وجهها اليه متفحصة، فكأنه لا يرغب حقاً ان يغادرا بيته بعد.. تعسّر على شانا ان تصدق ما قاله، فعندما وصلنا ذكر أنه لا يرحب بوجود شانا ولكنه عاد فتبدل فتغيرت تصرفاته بشكل واضح دون أن تفهم لذلك سبباً. تنهدت تنهيدة عميقة:

- أعتقد أنك على حق. ربما يجب أن أكتم عنها شعوري هذا.

- لقد جعلتني أؤمن أنك احببت الاقامة عندنا؟

جرّ كرسياً فجلس عليه... كان مظهره أكثر رسمية وهو يرتدي

سترة رمادية قاتمة وربطة عنق فوق قميص ابيض ناصع كالثلج.

- لماذا غيرت فجأة رأيك؟

هزت كتفيها بعجز:

- إن مرد قولي ذاك شعوري الحالي. فمن الخطأ الفادح هيامي على وجهي في البرية. أشعر أنني الحقت الخزي والعار بنفسي.

ابتسم فدهشت.

- أيكون مرد ما أسمعه منك خوفك مما سأقوله لك حينما تستعيدين عافيتك؟

اخفضت جفنيها استحياء:

- انت شديد الملاحظة بيري.

- لا تصعب قراءة أفكارك شانا.

عكس صوتها دهشتها حين ردت:

- لا أفهم لماذا لست غاضباً مني.

- غضبت في البدء غضباً شديداً، ولو وجدناك في الليلة الاولى لصببت عليك جام غضبي كله. ولكنك بقيت تائهة فلما مرت الساعات وحل الظلام عليك..

وصمت.. وظل صامتاً فترة طويلة وكأن الكلام تعسّر عليه فجأة.. فلما أردف خرجت منه الكلمات بصعوبة.

- لقد تغلل القلق إلى نفوسنا واستولى علينا، لأننا كنا نعرف انك تضعفين وتضعفين طوال الوقت. وسيأتي عليك وقت تعجزين فيه عن التحرك وعندئذ تستلقين بين العشب المرتفع ويصبح من المستحيل علينا إيجادك.

صمتت شانا تحدق إليه مذهولة.. بعد لحظات أضاف:

- لا تشغلي بالك شانا.. فلن أوبخك على ما حدث قلت لعمتك إن حاجتك إلى العزلة التامة دفعتك إلى الخروج كما

فعلت. وأحسبني أفهم ما شعرت به شانا. ولأنني فهمتك لن أسبّب لك المزيد من الانزعاج.

وأمسك يدها فوق الغطاء، فغطّاها بيده التي شعرت بها دافئة وقوية تؤكد لها بشكل حاسم أنه صادق. لقد قال إنه فهم.. إذن فهو يعرف انه آلمها ألماً شديداً عندما ذكرها بالماضي.. وهو يتفهم ألمها ويعتبر الذكريات السبب في عصيانها أوامره، فابتسمت له، ورد عليها بابتسامة مماثلة. وسألها بلطف:

ـ أما زلت راغبة في العودة الى وطنك؟

ردت بخجل:

ـ ليس الآن بيري.. أشكرك لأنك لست غاضباً مع أنني أستحق غضبك.

حلت ابتسامة خبيثة مكان الاخرى:

ـ الذلك أقلقت نفسك حتى المرض؟ هل أنا مخيف الى هذه الدرجة شانا؟

إن محادثتهما الحميمة هذه غريبة.

ـ لا أشعر بالخوف عندما تكون على هذه الحالة.

زال تحفظه تماماً.. كان ينظر اليها والرقة في عينيه. يده تضم يدها بنعومة. لقد أصبح سهل المنال فجأة، فتذكرت أملها بأن يسامحها قبل أن تغادر منزله الى الأبد. فظلل وجهها سحابة الم، وارتجف فمها، فقال لها باهتمام مفاجىء:

ـ ما بك؟ أتعبة أنت؟

هزت رأسها، لا تريد ازعاجه او اقلاقه:

ـ لا.. لست متعبة.

وقعت اشعة الشمس على شعرها فزادت من نضارة لونه الذهبي، ولامس الضوء عينيها ليغيّر لونهما فتغيرت سيماء وجهها

وأصبحت الشرايين الزرقاء أكثر شفافية حول صدغيها.. فابتلع بيري ريقه بصعوبة، ثم أشاح بصره عن صورتها الرائعة. قال بطريقة مباغتة أذهلتها:

ـ يجب أن أذهب. وكما قلت.. ستحضر عمتك لقضاء ساعة معك قبل العشاء.

نظرت اليه.. ما أشدّ وسامته وما أروع طوله وما أبهى استقامة كتفيه العريضتين.

ـ شكراً لمجيئك.. هذا لطف منك لأنك كثير الانشغال هذه الأيام.

بقي قرب السرير فترة، يحدق في وجهها.. وكأنه يكره ان يتركها. ثم وعدها مبتسماً:

ـ سأعود صباح الغد.. أما في المساء فستعودين معي.

ـ ما أسعدني حين أعود إلى البيت!

قطعت كلامها فجأة وقد أدركت أنها تسرعت في الكلام من غير تفكير. ارتفع اللون الوردي الى وجهها، فأسدلت ستارة أهدابها على عينيها لتمنعه من رؤية الانفعال فيهما. ظل يتفرّس فيها بصمت وجمود، وكأنه يفكر في كلامها. عرفت انه مثلها، يسمع ما قاله لها منذ زمن بعيد: ستكونين عروس «غريت سليف» الرابعة وأجملهن وجهاً وأحبهن إلى القلوب.

أخيراً، تمكنت من التطلع إليه. كانت عيناه كثيبتين واحدى يديه مشدودة.. ودعها بسرعة ثم غادر الغرفة.

جاء الطبيب بعد برهة قصيرة، وعبر عن رضاه عن حالتها ثم ذهب فوراً..

كانت شانا تقرأ كتاباً حين ظهرت الممرضة الشابة تعلن وصول زائر.

- تشارلز!

حيته شانا بحماس، ثم وضعت كتابها على غطاء السرير.

- ما أسعدني برؤيتك.. اكنت مع بيري؟

تقدم منها ليجلس على الكرسي الذي تركه بيري منذ قليل..

- لا.. جئت خصيصاً لأراك.

- أوَ اجتزت تلك المسافة كلها لتراني فقط؟

ارتد في كرسيه، ناظراً الى وجهها:

- ولمَ الدهشة؟ ألا تذكرين أنني قلت لك إنني قادم يوم أمس، ولكن بيري ذكر أنكم ذاهبون الى البلدة.

صمت لأنه لاحظ انه بملاحظته تلك أحرج شانا. ثم لم يلبث أن تنهد، ناقلاً حديثه إلى مسألة ضياعها.

- إن بيري دون شك حذرك مسبقاً من مغبة التوغل بعيداً، فنحن نحذر الزائرين دائماً من المخاطر التي تشكلها الأحراج هنا.

- اجل.. حذرني.. ولكنني نسيت تحذيره.

- نسيت؟ وكيف تنسين بحق الله؟

- يصعُب علي شرح الوضع لك تشارلز. فأرجوك لا تطرح المزيد من الأسئلة. كيف عرفت أنني تهت؟ هل اتصل بيري بكم؟

- طلب منا المساعدة.

- طلب مساعدتكم؟ أتعني ان رعاتكم بحثوا عني أيضاً؟

- لم يبلغ بيري أبي قبل صباح الامس. إذ وجد انه في ذلك الوقت بحاجة الى كل رجل قادر على المساعدة. لم يكن يشك في البدء في قدرته على العثور عليك قبل الغروب. ولما أغربت الشمس رأى أن لا بدَّ من طلب المساعدة.. فأرسلنا له الرجال.. طبعاً.

- كلهم؟

- معظمهم.

- ما أفظع ما قمت به لقد انزعجت المنطقة بأسرها! وكيف وصلوا؟

- بل قولي بما سافروا.. لقد أتوا بالسيارات والشاحنات والڤانات والسيارات الخاصة... لا تشغلي بالك بهذا الأمر شانا فلست أول من يتيه في المنطقة.

- لن أسامح نفسي إذ كان عليَّ التفكير في ما سأكبدكم من متاعب وإزعاج قبل أن أهيم على وجهي. لن أنسى ذلك أبداً.. أبداً.

- بل ستنسينه بكل تأكيد.. لقد انتهى الأمر بسلام.. كيف تشعرين الآن؟

- بخير إلا من الحروق طبعاً.

هز رأسه متفهماً:

- حروق الشمس كالجحيم أما العطش فهو الجحيم عينه.

ارتجفت للذكرى.. مع أنها ما زالت متكدرة لما كبدتهم من مشاق.

- اجل إنه الجحيم.

وغيّر تشارلز الموضوع.

- كان عليّ المجيء لأراك شانا. بيري لا يعلم أنني هنا. ولكنني سأزوره قبل عودتي.. طبعاً.

في نبرته ما أحرجها من جديد. آه ليت تشارلز لا يعقد إقامتها فتمتمت عازمة على تجنب الموضوع.

- هذا لطف كبير منك.. هل انزعج أهلك حين أرسلوا رجالهم للبحث عني؟

كانت بسؤالها تفكر في سندي التي تخشى عندما تلقاها أن

تواجهها بتعليق لئيم يتعلق بمن لا يحترمون القوانين. سمعت تشارلز يرد:

ـ انزعجوا!.. أبداً.. فليست المرة الاولى التي نُطلب فيها لمساعدة احد. لقد تاه في السنة الماضية جماعة من السواح كانوا قد تركوا سيارتهم بعد تعطلها وقد حدث أن شاهد أحد رجالنا هذه السيارة فعاد ليبلغنا. وقد أسرع عندها رجالنا ورجال بيري للبحث عنهم.. كانوا جماعة من الاغبياء! لا بد انهم تلقوا تحذيراً بأن افضل وسيلة للنجاة هي البقاء قرب سيارتهم.. ولو فعلوا هذا لما عانوا شيئاً.. لقد لزمنا حتى وجدناهم يومين من التفتيش. وعندما عثرنا عليهم حملناهم إلى المستشفى حيث مكثوا فيها أربعة أيام.

دخلت الممرضة الى الغرفة تسأل:

ـ أتتناول الشاي مع شانا سيد جيلبرت؟

ـ لا.. شربة ماء فقط.. ارجوك.

ثم التفت الى شانا ليتابع الحديث.

ـ أفضل انتظار العشاء، لأتناول وجبة كاملة.

ظلّ عندها نصف ساعة اخرى، ثم خرج قائلاً:

ـ سأراك في الحفلة.

ابتسمت له شانا. ثم برقت عيناها وهي ترى عمتها غلوريا في الباب تبتسم لتشارلز، الذي تنحى جانباً ليتركها تمر:

ـ تشارلز... يا للطفك! أيعلم بيري أنك تزور شانا؟

جعل انتقال حديث عمتها من الترحيب الى السؤال شانا تشهق.. لقد قاد تشارلز سيارته ما يزيد عن مئة ميل في حر الظهيرة وليس هناك ما يهم العمة إلا أن يعرف بيري بأمر زيارة تشارلز.

ـ لمَا يعرف بعد..

ـ إذن يجب أن تزور المنزل.

نظر اليها تشارلز مستغرباً، ثم تبادل النظرات مع شانا:

ـ كنت على وشك أن أقول إنني سأزوره.

احمرّ وجه العمة بشدة.. وتمتمت:

ـ عذراً على تطفلي. كان علي أن أدرك انك لا بد زائراً المزرعة قبل عودتك.

ـ إلا أنك بدوت ملهوفة حتى أقوم بهذه الزيارة سيدة جيليس؟

لقد حيرته بالحاحها كما اذهلت شانا. ولكن العمة هزت كتفيها بعدم اكتراث مفتعل:

ـ ملهوفة؟ ولمَ اكون ملهوفة إن زرته أم لم تزره؟ لا.. لقد ذكرت تلك الكلمات عرضياً ليس إلا. هذا ما يحدث للمرء عادة حين يكون فكره مشغولاً بأمور اخرى.

نظرت شانا الى وجه عمتها ممعنة وأجابت:

ـ وما هي الأمور التي تشغل بالك عمتي؟

ـ انت بكل تأكيد...! لا أقوى على عدم التفكير في المحنة الفظيعة التي مررت بها. إنها وحدها تكاد تميتني رعباً.

نظرت شانا اليها بارتياب، تتذكر كيف تجاوزت العمة الأمر بسهولة. ولكنها لم تقل شيئاً. بل ودعت تشارلز الذي لوّح بيده قبل ان يغادر الغرفة.

ـ اجلسي عمتي.. كيف جئت؟ أوصلك بيتر ثانية؟

ـ اجل.. أليس هذا لطفاً منه؟ أنا لن اتعب إن جئت سيراً ولكن بيري يرفض ذلك. ذلك الشاب عطوف حقاً لقد قال بصوته الصارم: لا.. ستتعبين كثيراً.. فكان أن ارسل بيتر ليوصلني... والآن عزيزتي.. كيف حالك اليوم؟ تبدين بصحة جيدة، وأنت على فراشك مستلقية.

ـ أنا في أتم عافية فكل شيء حتى الحروق أفضل حالاً.

لاح لها أن أفكار عمتها بعيدة جداً. فبعد أن سألتها ذلك السؤال فقدت الاهتمام بردها وراحت تتمتم وكأنها تحدث نفسها:

- اتساءل ماذا سيعتقد بيري حين يعرف ان تشارلز قطع تلك المسافة ليراك. أنا نفسي ما كنت لأصدق أنه سيفعل ذلك.

هزت شانا رأسها مرتبكة فهي ما عادت تفهم عمتها هذه الايام. فقررت أن من الأجدى لها ترك العمة وشأنها فلتفعل ما تشاء.

غير أن العمة لم تلبث أن انتقلت إلى الحديث عن أمور أخرى بعفوية حتى حان وقت رحيلها.. فانحنت تقبل ابنة اخيها:

- عمت مساء عزيزتي.. وانا سعيدة لأنك لم تتلقي اللوم على ما قمت به.

ولكن لماذا تهتم العمة بأثر زيارة تشارلز على بيري؟

والسؤال هل سيبدي بيري أية ردة فعل؟ طبعاً لن يفعل. ولكن شانا كانت مخطئة في ما تيقنت منه ذلك أن بيري حين وصل إلى المستشفى صباح اليوم التالي كان أول ما قال باقتضاب ووجوم:

- يبدو تشارلز مهتماً بك اهتماماً عليه أن يشعرك بالفخر، فلقد قطع هذه المسافة ليراك فقط.

نظرت شانا اليه بسرعة، كانت جالسة تستند الى الوسائد.. تبدو جميلة خلابة ترتدي سترة نوم وردية جميلة، فردت عليه:

- هذا ما أدهشني ايضاً. فلو كان قلقاً عليّ لسأل عن حالي بواسطة جهاز الإرسال.

جلس بيري ساخطاً:

- كان قلقاً عليك بالتأكيد. ما من شك في هذا!

وازدادت حيرة شانا فسألته متوترة:

- هل أنت منزعج لأنه زارني؟

ارتفع رأسه بتعجرف فجأة.

- منزعج؟ ولماذا أنزعج؟

- لا سبب أبداً.. لكنك لا تبدو راضياً.

ارتجفت شفتها، فقطب جبينه ثم غدا أرق وألطف.

- لست غاضباً ولكن زيارته فاجأتني وهو إلى ذلك لم يعلمني بها. إنه لا يتمادى عادة ولا يتجاوز غزله حدود معينة.

- لكن تشارلز لم يغازلني قط ولم يتمادَ!

- أثق بكلامك ولكن هذا لا يعني أنه لن يتمادى.. فهو مهتم بك حقاً.

جعله هذا التفكير يعبس عبوساً شديداً.. لكن وجهه كان يرتدي قناعاً بارداً لم تفهمه. فقالت شانا بهدوء:

- هو يهدر وقته إذن. لأنني لست مهتمة به أبداً.

- ألا تجدينه جذاباً؟

- إنه جذاب دون شك؟ فمظهره جميل وجسده رائع وأخلاقه عظيمة لذا أحسب أن امرأة ما ستقع في حبه رأساً على عقب يوماً.

ابتسم بيري ابتسامة خالية من المرح. كان متباعداً منطوياً على نفسه، فعيناه كئيبتان وأفكاره بعيدة كل البعد عن السعادة.

- اذن.. تجدينه جذاباً؟

هزت رأسها وقد اربكتها تصرفاته:

- قلت لك إنه جذاب. إما أنك أسأت فهمي وإما أنك حرّفت معنى قولي.

فكان رده غير المتوقع:

- أنا آسف.. أفهم من هذا أنه رغم طلته البهية لم يفتنك؟

- لست في مزاج يقدر فيه أي إنسان على أن يفتنني بيري. أقوم وعمتي بعطلة ستنتهي وشيكاً لذا من الغباء أن اتورط مع احد.

هز رأسه وقال:

ـ لن تسافرا قريباً. فعمتك تحس بالاستقرار والرضى.

نظرت اليه بدهشة:

ـ ألا تهمك المدة التي سنمكثها عندك؟

ـ نحن نحب الزائرين، فالزيارة تضفي تغييراً مستساغاً على حياتنا.

ـ لدى عمتي منزل وحديقة..

ـ ومن يرعاهما لها؟

ـ جاران غير أننا لن نستطيع الابتعاد طويلاً.

ـ أخبريني... ماذا ستفعلين حين تعودين؟

ـ سأعود الى وظيفتي التي أرجو أن تكون شاغرة.

ـ وماذا تفعلين في العطلات الأسبوعية؟

ـ اقوم بأعمال منزلية، أو أخبز إلا أنني أمضي معظم أوقات فراغي برعاية الحديقة فعمتي لم تعد قوية الجسم. ورعاية الحديقة تتطلب قوة وقدرة.

بدت عيناه مستقرتين في عمق عينيها بشكل غريب فاحمرّ وجهها وحل الاحمرار محل الشحوب، وارتفعت ابتسامة الى شفتيها، أما هو فلم تتزحزح نظرته عن وجهها حتى هزّ رأسه أخيراً وقال بصوت تغمره الشفقة:

ـ ليس لديك خيارات كثيرة.

أهذه شفقة؟ ثارت أعصابها.. شفقة! ونظرت الى الوراء تتذكر مناسبات أظهر فيها الشفقة ولكن وجهه حالياً مطبوع بالشفقة.. انه يفكر في حياتها ورتابتها.. ربما يحس رغم شفقته أن اللوم يقع عليها وحدها. فحياتها كان يمكن ان تكون مختلفة كل الاختلاف لو اتبعت قرار قلبها بدل قرار ضميرها. أحست بالبرود فامسكت

آلياً بالاغطية تشدها ثم لم يلبث أن عاد الشحوب إلى وجهه فتغيرت ملامح وجهه وهو يرى هذا التغيير المباغت.

قالت بجفاء:

ـ حياتي هادئة مستقرة وعامرة. ربما ليس فيها إثارة. نعم ولكنني قانعة بها.

اتضح أن تصرفاتها وكلماتها جعلته ينتفض فمال الى الامام في كرسيه... واقترب منها كثيراً، تلمع عيناه غضباً. حتى بدا اكثر من مخيف.. ورغم ذلك.. تحبه! ألا تتمكن من مد يدها إليه فهذا عذاب أليم. آه ليته يمسك يدها أو يضمها ضماً شديداً قوياً كما كان يفعل في الماضي. يالبؤسها وضعفها! أيجلس حبيبها قربها وهي عاجزة عن الابتسام ابتسامة مشرقة أو عن الاستناد إلى كتفه بثملك؟ تجمع ثقل كبير في عينيها ومات قلبها فعوضاً عن القيام بما تتوق إليه كان عليها ادعاء الهدوء والبرود، ووضع قناع غير عاطفي.. كان عليها أن تحافظ على رأسها شامخاً لتظهر أن كبرياءها ما تزال محفوظة.

ووقف بيري فجأة.. وكأنه أحس أن وجوده لم يعد مرغوباً.. فودعها بكلمات متوترة ككلماتها وتركها.. تركها تعض بقوة على شفتها، وتبتلع بصعوبة الشفقة...!

إنها ذل لن تقوى على احتماله أبداً!

أن يتصرف بلا مبالاة خير لها من الشفقة.

* * *

٩ ـ لن أغفر لك أبداً

كان الجميع في الأمسية التي سبقت أمسية الحفلة جالسين يرتشفون القهوة. الطالبان بيتر ولانس يتبادلان الحديث بعيدا عن بيري والعمة غلوريا، المستغرقين في حديث طويل وشانا تجلس باسترخاء في الكرسي الهزّاز غارقة في أفكارها.

وكانت منذ أن لمست من بيري شفقته قد لاذت الى تحفظ بارد أشبه بعباءة تحميها من الألم ترتديها كلما وجدت نفسها مع بيري وحيدين... وكان بيري من جهته قد لاذ إلى كبريائه وراح يعاملها بفتور وما هي إلا ساعات على عودتها من المستشفى حتى أصبحا لا يتبادلان الحديث إلا في الحالات الضرورية. وقد حارت العمة في أمرهما فاستجوبت شانا التي لم تتردد في قول الحقيقة.

ـ بيري يشفق عليّ وأنا أرفض منه الشفقة. اذا بقيت باردة متحفظة معه فسيعرف سريعاً انني لا أتوسل لاحظى ببعض لطفه أو عطفه. وبما أنه يشفق علي فقد اتخذت قراراً بأن أعامله ببرود أثناء إقامتي في مزرعته. أنا آسفة عمتي الا أن لي كرامتي فافهمي رجاء، فمن الصعب على فتاة كانت تملك حب رجل وحياته أن تصبح موضع شفقته.

غضبت العمة عندما سمعت كلماتها هذه فخرجت عن طورها:

ـ الشفقة! أوه لا يا عزيزتي! أنا على يقين من وقوعك في خطأ

فادح.

وقتذاك أوشكت العمة على الإجهاش بالبكاء فتأسفت شانا لأنها لم تقل لها ما قالته بلباقة. ولكن الاوان فات للتراجع.

ـ لقد كان لطيفاً معي إلى درجة الرقة، كما لاحظت بل إنه لم يعاتبني على ما فعلته وقد لاحظت شفقته عدة مرات فيما بعد خاصة في تعابير وجهه.. وأعرف أنني على حق عمتي فلا تجادليني.

تنهدت العمة بعمق، ثم قالت وكأنها تحدث نفسها:

ـ حسناً.. لم آخذ هذا الامر في حسباني.

ولكن شانا لم تتأكد من كلامها. أما العمة فقطعت كلامها بحدة وكأنما خافت أن تفهم ابنة اخيها ما يجول في خلدها ثم تابعت:

ـ لم أرَ ما يشبه الشفقة في تصرفاته عزيزتي شانا إنما لماذا تتصورين الأمر على هذه الصورة؟ انه متعاطف معك ليس إلا.

ـ هل عليّ برأيك أن أستأنس بشفقته؟

لم تفهم عمتها معنى ان تتلقى الشفقة عوضاً عن الحب الضائع الى الأبد. كذلك، ربما كان لها عذر في ما تقول وها هي الآن تتحدث الى بيري، وتنظر الى شانا بين حين وآخر.. وكأن تأكيدات ابنة اخيها لها تدور في رأسها غير أن هذه النظرات تغيظها.. فوقفت ووجهت نظرتها الى المجموعة كلها قائلة:

ـ أخالني سأخلد إلى فراشي فهلا عذرتموني؟

نظر اليها بيري عندما وقفت:

ـ أمتعبة أنت؟

وشملت نظراته ذراعيها المتورمتين من جراء حروق الشمس التي لا ترحم، فهزت شانا رأسها:

ـ أجل بيري.. أحس بالتعب فعلاً.

وخالته يعبس ولكن مهما كانت مشاعره، فالعطف يغلب عليه. فليحتفظ بعطفه لنفسه. ارتفع رأسها، ونظرت مباشرة الى عينيه، وفمها متوتر بتعجرف، فضاقت عيناه فيما أطبقت يده المستلقية على الكرسي بشدة.

ـ إلى الفراش إذن. أرجو أن تشعري بأنك أفضل حالاً في الصباح.

ثم التفت الى عمتها ليقول شيئاً. فعلمت شانا أنه يتصرف بتكبر ولكنها السبب فلِمَ ترتجف شفتاها وتجتاحها موجة من الاشفاق على النفس؟

تركتهم دون أن تتوجه إلى فراشها، بل تسللت الى الحديقة بهدوء تريد أن تنفرد بنفسها بعيداً عن الناظرين في الشرفة.. نادتها دالية ظليلة إليها، فجلست على مقعد حجري تتناهى إليها الأصوات من بعيد.. أصوات بعض عمال بيري الجالسين خارج منازلهم.. أحست بعدو مسرع أعقبه ركض على قدميها ربما صاحبه سنجاب صغير يجري ليؤمن طعامه.. جلست جامدة تنظر حولها، تأمل أن تشاهد عينيه السوادوين اللامعتين ولكنه كان قد اختفى دون ان يترك أثراً. اتكأت الى الوراء تحدق الى غصون الأشجار وأوراقها فشاهدت كوكب الجنوب فوق رأسها يلمع وكأنه موزاييك متلألىء في كبد السماء المخملية القاتمة ذات اللون الاحمر الشديد الاسوداد.. ثم لم تلبث أن سمعت صوتاً آخر... لا بل وقع أقدام واثقة ظلت تقترب وتقترب فارتدت إلى الوراء رغم علمها أنها لم تكن بعيدة عن الرؤية.

ـ ألم تقولي إنك ذاهبة الى النوم، بينما كل ما تريدينه بعض العزلة ثانية.

وكان في صوته الحاد النبرات اتهاماً، فاستوت على مقعدها، وقد انزعجت منه لأنه راقبها عندما قصدت الحديقة. كان يقف تحت الدالية طويلاً مستقيم القامة يضع احدى يديه في جيب سرواله، والأخرى يسندها الى دعامة الدالية. كان حدود الجبل القابع وحيداً يبدو واضحاً خلفه، أما القمم فتاهت في بساط قطني أبيض منخفض..

ـ أجل وجدت هذه الحديقة مؤنسة منعش هواؤها. فلم يطب لي الإيواء إلى فراشي باكراً.

ـ وهل اكتشفت هذا بعد ان تركتنا؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، لتريح الالم الذي أحست به يطبق على حنجرتها.

ـ اجل.. أعتقد أنني أدركت هذا بعد تركي لكم.

تجهم وجهه.. وتقدم خطوتان غير أنه لم يحاول احتلال المكان المجاور لها على المقعد. ثم قال بنبرة حادة قاطعة:

ـ وكأنك بتّ متيمة بصحبة نفسك أكثر من العادة.

ـ قد يجد المرء في كثير من الأحيان البهجة في الخلوة.

ـ وفيما تفكرين حين تكونين وحيدة هكذا؟

لاحظت أن البرودة التي ما زالت صوته قد بدأت بالتلاشي، وهذا ما لا تريده ذلك أنها تعني العودة الى وضع تتمنى تجنبه.. وضع تكون فيه عرضة لشفقته.. ولكن الغريب أنها في الوقت ذاته كانت تتوق الى رقته ولطفه وابتسامته.

صمتت تحاول التملص من الحقيقة إلا أنها لاحظت أن بيري فقد صبره أثناء هذا الصمت.

ـ أفكر في أشياء كثيرة، إنما أحاول بشكل رئيسي.. إراحة تفكيري.. والمرء يستطيع إيجاد الراحة حيث الهدوء والسكينة،

والقرب من الطبيعة.

ـ لقد اصبحت متعلقة بهذا المكان، أليس كذلك شانا؟

رغم انبثاق الكلمات من شفتيه بنعومة وهمس إلا أنها رأت إنذاراً ما مما مسَّ كرامتها وجعل قسماتها تتغير. اعترفت بقدر ما استطاعت من صراحة:

ـ يعجبني.. إنها بلاد مخيفة، غير أن لها جمالاً وجاذبية فريدين.

كانت مهذبة عفوية الكلام، ليس في كلامها ذرة حماس أو مواربة كذلك.

رفعت رأسها الى السماء، فنسيت وجود بيري لحظات.. في تلك اللحظة انسلّ القمر من بين الغيوم البيضاء التي تحيط بقمم الجبل، فأضاف نوره الفضي أنواراً الى انوار النجوم.. كانت مجرّة درب التبانة تبتعد مسافرة الى ما لا نهاية، مع مجموعة لا تنتهي من اللآلىء اللامعة في كبد السماء. وكانت الاراضي الممتدة هاجعة تحت هذه الأنوار.. والصوت الوحيد الذي كان يتحرك في الهواء هو همس اشجار الصنوبر قرب السفوح البعيدة.

تقدم بيري فوقف على مقربة منها. عندما التفتت إلى وجهه راحت شفتاه تتحركان بطريقة غريبة، ولكن ما من صوت كان يتناهى الى أذنيها. أحست بتوتر، كانت قد عرفت مثيله منذ قدومها إلى هذه البلاد إلا أن هذا التوتر في هذه اللحظات كان أقوى وأشد.. ولا بد أنه احس بهذا.. فتوقف.. وتكلم.. يسألها:

ـ رغم ميلك الشديد للعزلة.. أتمانعين إن جلست معك؟

اهو رجاء؟ ما هذه الكلمات الغريبة! لا.. هذا مستحيل كيف خطرت لها هذه الفكرة؟

ـ إنها داليتك.

قالت هذه الكلمات برقة تدفعها قوة غريبة من الود لم تستطع كبحها للتخفيف من توتر كرامتها. إنه ضعفها هو الذي يجعلها تتوق إلى هدنة قصيرة.. قبل ان يلجأ كل منهما، في ضوء النهار، الى الرسميات.

ـ طبعاً يمكنك الجلوس.

ـ شكراً لك.

احتل الفراغ الملاصق لها، وأخذ يحدق بكآبة إلى الجبال وقد ران الصمت عليه وعلى شانا أيضاً بشكل طبيعي. غير أن صمتهما هذا ركز التوتر أكثر، حتى أصبح حياً نشيطاً جاعلاً كل منهما يتمنى لو يحطم الآخر هذا الصمت الذي لم يقطعه سوى صراخ ابن آوى المرعب الآتي من البعيد. تحركت شانا لا إرادياً قليلاً نحو رفيقها، وقد ارتجفت.. وقالت هامسة:

ـ كائن ما سيقتل قريباً هناك.

وصمت الدغل صمتاً لا رحمة فيه بل قسوة كبيرة.

ـ إنه قانون الغلبة للأقوى. سيقتل كائن ما ليبقى الآخر حياً.

أكان يفكر في أعداد القطعان الكبيرة التي يطلقها في هذه الأقفار؟ ولكن تربية المواشي لسوقها الى الذبح عمل قائم على قدم وساق، دون التفكير في أن هذه الحيوانات المسكينة لا تستطيع فعل شيء إزاء مصيرها.. نطقت بأفكارها، دون قصد، فأمعن فيها بيري النظر ثم قال:

ـ إنها الضرورة مرة أخرى شانا.. غير أن حيواناتنا تبقى مطمئنة هنا حتى نرسلها الى قطارات شحن المواشي. وعملنا هذا لا يشبه أبداً المزارع الصناعية التي تربي المواشي داخل جدران مغلقة.

ابتسمت تهز رأسها:

ـ أعرف هذا.. كانت فكرة ليس إلا فأنا اكره مجرد التفكير في أن كائناً ما سيقتل.

ـ.. اذكر هذا..

وصمت.. إلا أنها سرعان ما عرفت إلى أين ارتدت ذاكرته فقالت له:

ـ إنما حالة كلبتي تحسنت.

فالتفت اليها بحدة يسأل:

ـ ألم تستدع الحاجة إلى أن يقتلها البيطري؟

هزت رأسها:

ـ أجرى لها البيطري عملية جراحية قامت على أثرها سليمة قوية وقد عاشت بعد ذلك ثلاث سنوات أخرى حتى ماتت بسلام وهي نائمة أما سبب موتها فالهرم.

ـ حسناً! أذرفت تلك الدموع كلها على لا شيء؟

ضحكت بنعومة:

ـ لقد مررت بعذاب من أجلها!

ـ أذكر هذا. كان ذلك قبل ثلاثة أيام من...

صمت فجأة إلا ان شيئاً أبعد من سيطرتها جعلها تنهي جملته:

ـ.. قبل أن نودع بعضاً بعضاً. أجل بيري.. اذكر هذا جيداً..

بكيت وبكيت حتى بدأت تفقد صبرك معي..

ـ لا شانا.. لم أفقد صبري معك! ولكنني قلقت عليك من المرض..

صمت ثانية إنما ليس فجأة كما فعل في المرة الأولى. فقد تحرك شيء ما في حنجرته. فتمنت شانا لو أن الحديث لم يأخذ هذا المجرى.. المؤلم ذلك أن التأثر بدأ جلياً عليه كما هو جلي عليها فقالت:

ـ فلنغير الموضوع بيري.

ـ لقد وعدتك برحلة الى البحيرات، لذلك يجب فعل شيء حيال الأمر.

استرخى الوضع بينهما بشكل ظاهر:

ـ ما ألطفك بيري.. إنما هل سنبقى هناك فترة قصيرة كما ذكرت.

ابتسم:

ـ طبعاً.. فسترغبين وعمتك في رؤية المناظر الساحرة والشلالات المتدفقة.

دام حديثهما ما يزيد عن ربع ساعة وكلاهما يكره أن ينتهي الحديث، وكلاهما يكره العودة الى المنزل.

ران صمت طويل لم تقطعه الا همسات الاشجار وحفيف أوراقها.

قال بيري أخيراً:

ـ ربما من الأفضل أن نتحرك من هنا.

ووقف. هب نسيم ناعم من جهة الجبال لاعب شعره برقة.. فاضطربت شانا لروعة منظره وأغمضت عينيها لئلا ترى فتنته وجاذبيته، غير أن قلبها كان يعصف بها ويتوسل بصمت: ابق بعد بيري.. ارجوك ابق بعد!

ما هذا الجنون؟

حاولت تنحية هذا الجنون عن أفكارها فهبت تقف بسرعة ولكنها في تسرعها هذا لوت كاحلها، وقبل أن تتمكن من موازنة نفسها كان بيري قد التقطها. حاولت بضعف أن تنسحب غير أن ذراعيه اشتدتا. وقال لها آمراً:

ـ استرخي.

أرخت عضلاتها المشدودة بطاعة عمياء وما هي إلا لحظة حتى ارتد رأسها الى الوراء بعد أن أمسك بيري شعرها وشده بلطف. كان لطيفاً ناعماً وهو يقبل عينيها فوجنتيها.

ـ اذن.. ما زلت تحبينني على الرغم من المعاملة التي عاملتني بها مؤخراً.

وأعقب عبارته تلك عناق آخر فآخر وطفقت تشعر مع كل عناق بأحاسيسها تشتد حرارة وشغفاً.

تمتمت باحتجاج:

ـ بيري.. أرجوك!

سألها مازحاً:

ـ أرجوك ماذا؟ أتسألينني المزيد؟

اجتاحتها عاصفة من الحياء، فردت في محاولة لإظهار الحشمة:

ـ بالطبع لا! كنت أطلب.. أن تتركني.

رفع حاجبيه وقد التمع المرح في عينيه:

ـ لكنك، لا تحاولين التخلص. فهل أنت متأكدة من أنك تريدين مني أن أتركك.

إنه آخر ما تريده ومع ذلك قالت مضطربة:

ـ طبعاً.. أنا واثقة..

ـ كاذبة!

وشدها مجدداً.. وكان في عناقه شوق ولهفة وتجاوب.. فارتفعت ذراعاها إليه تتعلق به كغريق بينما توهج وجهها الساحر إشراقاً وسعادة. ولكن ذكرى قاسية أتتها من زاوية سخيفة: ذكرى فتاة اسمها سندي. لا.. إنها صورة فحسب فلا أهمية للفتاة أبداً، لأن بيري لم يحبها يوماً.. إنها هي.. شانا.. حبه الوحيد،

والمرأة التي لم يتوقف عن حبها قط.. لقد عرفت شانا مشاعره غريزياً، عرفتها من طريقة احتوائه لها، ومن تعابير وجهه الرقيقة، ومن ابتسامته اللطيفة التي كانت تتراقص على شفتيه. سيكون صادقاً مع سندي وسيعترف لها إنه ما زال يهتم بحبه الاول.. ستغضب سندي دون شك ولكنها في الوقت نفسه ستقف بتعال وتنظر إلى ما سيقوله متفلسفة وستفهم أنها لن تستطيع الاحتفاظ ببيري، ولن تلزمه بوعوده.

ـ شانا...

انطلقت ارتعاشة من جسده أوقفت تعويذة السحر التي سقطت فيها.. فلمس قلبها أصبع من ثلج وهبطت أحلامها من غيمة الرضى والدفء إلى أرض الواقع الباردة. تلك الافكار الضخمة، والاستنتاجات الواثقة.. كانت أفكارها وحدها وها هي الآن تنظر بوجل الى وجهه.. وجه الرجل الذي تراخت قبضته حولها. وجه الرجل الذي طغت على ملامحه قناع لا حياة فيه.

ـ سامحيني شانا.. أعتذر إلك بصدق على هذه الهفوة.. لن أغفر لنفسي عليها أبداً.

الصمت.. وكأنه الصمت الذي يلي يوم القيامة.. تاركاً الثلج المحدق بقلبها عذاباً. أحست به يستولي على جسدها كله.

ـ هفوة..؟

انسلت الكلمة من شفتيها لا إرادياً وارتدت الى الوراء مبتعدة عنه فهبطت ذراعاه الى جانبيه.. وتابعت:

ـ وأنا كذلك آسفة.

راحت عيناها تحرقانها وأخذ الحريق يمتد الى صدغيها حتى كادت تنفجر من الألم. لقد وقفت بين ذراعيه، تتلقى عناقه وتبادله إياه.. فكيف..

قالت بلهجة خشنة:

ـ لا شيء هناك يستدعي المسامحة.. إنها غلطتي كما هي غلطتك!

وارتدت عنه.. تحدق الى الظلام الكثيف وتردف:

ـ كان.. يجب.. أن ندخل الى المنزل.. منذ زمن طويل..

وتكسر صوتها ثم توجهت بسرعة الى مدخل المنزل ذي القناطر. ولكنه سد عليها الطريق.. ولو عن غير قصد.. فقد تحرك وكأنه يريد كذلك الخروج من هذا المكان.. الحميم.. الموحش.. فتوقفت شانا ترفع نظرها اليه، والرجاء في عينيها.

تمتمت بصوت مختنق:

ـ دعني أمرّ.

ـ أنا آسف.. أشعر أنني نذل شانا..

صمت قليلاً.. فشاهدت قطرات من العرق تتفصد من جبينه. وتابع بخشونة:

ـ لم يقدر لنا السير في طريق واحد.

ثم ارتد على عقبيه مبتعداً.. تركها لتلحق به ببطء شديد.. ولكنه لم يبتعد كثيراً حتى التفت ونظر الى الوراء.. ليتأكد من أنها قادمة ثم انتظر حتى أصبحت على محاذاته فسار معها توازي خطواته خطواتها.. فقالت دون أن يظهر في صوتها تأثر:

ـ لا تقلق. فلن أخرج الى الأحراج ثانية.

احسته ينتفض لكلامها، فقد ارتفع رأسه وأخذت قبضتاه تشتدان فرد بهدوء:

ـ لست خائفاً من هذا.

ـ إذن أرجوك اكمل طريقك. أود لو أكمل الطريق وحدي.

هز رأسه، وأبقى عينيه الى الامام:

ـ سأرافقك حتى المنزل.

قالت شانا بعد أن قطعا بضع خطوات:

ـ لا شك في أنك توافقني الرأي على وجوب مغادرة المزرعة. فليتك تفكر في طريقة ما لتسرّع سفرنا.

توقف مفكراً.. وعاد صراخ ابن آوى من جديد ليبدد الصمت الذي سرعان ما خيم ثانية.. وبدأ القول:

ـ سيكون هذا صعباً.

غير أن شانا قاطعته، وقد فقدت السيطرة على أعصابها:

ـ لن ابقى! أريد العودة الى بلدي حالاً! وفي أسرع وقت ممكن. ادّع أمام عمتي أنك تنتظر زواراً أو أنك ستتزوج قريباً، لذا ترغب في ألا يزعجك أحد.. لا أعبأ بما تدعيه أمامها إنما قل شيئاً يجعلها تفهم أنك ما عدت ترحب بنا كلانا لا وحدي.

وتلاشى صوتها بعد أن خانتها الكلمات وبعد أن غدا النطق متعسراً. لم تستطع حتى الآن استيعاب حقيقة تصرفه، فهو لم يتعمد فقط إيلامها.. بل في الوقت نفسه كان خائناً لخطيبته فتوقف عن سيره والتفت إليها:

ـ ليس وحدك؟ ماذا تعنين؟

عندئذ فقط وعت شانا ما قالته.. فأجابت فاقدة الصبر:

ـ لا يهم.

إلا أن قبضته على رسغها أوقفتها:

ـ ماذا تقصدين؟

نظرت اليه فإذا وجهه مرهق. عندئذ أحست بتوق مجنون إلى أن تبعد عنه الإحراج، ولكن تلك اللحظة ولّت لتجتاحها موجة من المرارة كبيرة، فلم تتردد في أن تكشف له ما سمعته حين وصلت... وفي هذه المرة علمت أنه ارتبك فقد تصاعد خطان من

الاحمرار الشديد الى جانبي فمه.. إنه آسف.. آسف لانه جرح مشاعرها.. أحست في هذه اللحظة المريرة الكاشفة انها تكرهه فصاحت به قبل أن يتفوه معتذراً:

ـ لا أريد شفقتك! احتفظ بها لنفسك! لقد أوليتني إياها منذ وقت وقد شاهدتها في كثير من المناسبات! لست حمقاء بيري.. فأنا أعرف ملامح الشفقة حين أراها!

لمعت عيناه فجأة وغضب لهذا التهجم فعلمت شانا أنها آلمته أكثر مما يجب، وأنه كان ينوي إنكار اتهامها. ولكن تعابيره سرعان ما تبدلت الى غضب عارم.

ـ أتسعين إلى أن تظهريني بمظهر النذل. ولكن قبل أن تلقي اللوم علي عودي بالذاكرة الى الوراء الى ما فعلته بي، ألست أنت من تخلى عني؟ أتذكرين؟ والآن ماذا تريدين؟ هل تريدين أن أتخلى عن سندي كما تخليت أنت عني؟ حسناً.. فكري ثانية.. لا.. لا تنكري هذا..! أعرف تماماً ما في ذهنك! ربما لا تكترثين بإيذاء الناس أما أنا فأهتم! لذا فأخرجي فكرة نبذي لسندي من رأسك!

حدقت الى وجه اصفر شاحب من الغضب.. وعلمت دون أي ظلال من الشك أنه لا يزال يحبها. لقد قال إنها قد لا تهتم بآلام الناس أما هو فبلى. خرج عن طوره ليؤلمها لما فعلته به. لما انزلت بحياته من دمار.. فهو يعلم أنه إن تزوج سندي فحياته دون شك ستتدمر!

وبسبب غبائها هي، حرما من السعادة!

قالت وهي متيقنة من أنه لن يتخلى عن خطيبته:

ـ أتقول إنك لن تنبذ خطيبتك؟ ألا تذكر يوماً طلبت مني نبذ خطيبي؟

فوقف عن سيره، ونظر اليها:

ـ إن ذلك مختلف.

ـ مختلف؟

ـ أجل.. مختلف! لقد وعدتني بإخلاص بالزواج ثم حنثت بوعدك...

ـ لماذا؟ أليس بسبب حادثة تود؟ لماذا لا تفهم؟ لماذا؟

ولكنه رمى بحجتها عرض الحائط وقال:

ـ هناك فرق كبير.. فأنا لم أعدك بشيء الآن وهذا يعني أنني لن أحنث بوعودي...

ردت شانا بلطف:

ـ إنك تجادل جدالاً بيزنطياً.. بيري. لا تقاطعني.. فأنا لا أنتظر منك ان تتخلى عن سندي..

ـ بل كنت تنتظرينه! لقد رأيته في عينيك.

هزت رأسها موافقة، لكنها قالت إنها الآن لا تتوقع منه ذلك.

ـ أفهم أنها مسألة شرف بالنسبة لك.. أعرف يا بيري أن قدرنا كما ذكرته منذ قليل ليس واحداً وأن سبيلنا منفصل وما اللوم إلا واقع على كاهلي..

أمتدت يدها برجاء الى كم قميصه:

ـ بيري أرجوك. أغفر لي لتصبح حياتي أسهل.

لم تتغير تعابير وجهه البتة بل كانت صارمة كصوته حين قال بمرارة:

ـ لن أغفر لك ابداً.. ابداً!

* * *

١٠ ـ عروس غريت سليف

كانت مرارته واضحة وندمه على خطوبته واضحاً أيضاً. وليس لدى شانا أدنى شك في هذين الاستنتاجين.

قالت حين ذكرت لها عمتها إن بيري تجاهلها أثناء الفطور والغداء في اليوم التالي:

ـ ما كان يجب أن اعود الى حياته، فعودتي الى حياته أحدثت شرخاً فظيعاً فيها. وهذا ما يكرهه.

ـ لقد تخاصمتما إذن؟

ـ يمكنك تسمية ذلك بالخصام. لم يستطع مسامحتي على ما فعلته به.

ـ لم يستطع مسامحتك.. ما أغبى هؤلاء الرجال! إنما ألم تذكري بحزم أنك ما عدت تعبئين به؟ أكان ذلك كذباً؟

هزت شانا رأسها بلا تردد:

ـ ما قلت ذلك إلا لأبعد عنك الإحساس بالذنب.. ولكنك كنت تعرفين منذ البداية أنني كذبت، أليس كذلك؟

حين هزت عمتها رأسها إيجاباً:

ـ عرفت ذلك يا عمتي من الملاحظات الوقحة التي كنت توجهينها لي في مناسبات مختلفة.

ـ وهو أما زال يحبك؟ طبعاً يحبك أعرف ذلك.

رفعت شانا رأسها.. بعد أن ظلت مستيقظة طوال الليل، فهمت من بين أشياء كثيرة أسباب تصرفات عمتها. فهمت أن كل حركة قامت بها العمة وكل تصرف تصرفته يصب في غاية واحدة وهو جمعهما من جديد.

ـ كنت تأملين منذ البداية أن تقنعي بيري بالتخلي عن سندي والزواج بي.. تآمرت، وناورت، بكل الطرق.. تركتنا في الصباح ساعة الفطور ومهدّت لنا الطريق لنبقى معاً، وقلت لتشارلز إن قلبي محطم بسبب موت تود، ليكون لطيفاً معي، فتثيرين بذلك غيرة بيري. أعلم أنك كنت متفائلة، تحسين بالرضى على جهودك ذلك أن بيري كان يبدو أحياناً غيوراً من تشارلز..

ـ كنت اعلم أنه يحبك.. ولمّا ذكرت شيئاً عن نبش الماضي اضفت الى أدلتي دليلاً اضافياً. اعلمي أنني حتى الآن موقنة انه لن يتزوج سندي.

ـ سيتزوجها عمتي.. كنت تتآمرين ولم تفكري في أن اللطف الذي يظهره لي ما هو إلا شفقة غير أنك لم تأخذي هذه الحالة بعين الاعتبار.

ـ منذ متى تعرفين.. مؤا... خططي؟

ـ فكرت في كل شيء ليلة أمس.

ـ أكنت مستيقظة؟

ـ لم أستطع النوم.

تمنت لو تتخلى العجوز عن الموضوع غير أن الأخيرة لم تكن مستعدة بعد:

ـ بسبب خصامكما؟

ـ أجل.. طبعاً بسبب خصامنا!

حركت العمة يديها بسرعة دليل الغضب:

www.newity.com

ـ لماذا يخرج الناس دائماً عن طورهم فيؤلمون من يحبون؟ أليس لديه عقل يمنعه من الزواج بتلك الفتاة الرهيبة؟

ـ إنها مسألة شرف عمتي.. لن يتخلى عنها!

ـ شرف! بل حماقة وعناد.. عناد لعين صرف.. هذه عادة الرجال!

ـ لن يفسد حياته بسبب العناد. لا.. انها مسألة شرف. ألم تفكري في ما سيكون عليه موقفه أمام الناس لو فسخ خطوبته وتزوجني؟ إنه عضو محترم في هذا المجتمع، وأهل سندي هم اقرب جيران له. فكري في الإحراج الذي سيسببه فسخ الخطوبة وفي الاحترام الذي سيخسره حين سيدينه جميع الناس على سوء تصرفه.. لا يمكنه فسخ خطوبته ولو أراد.

حين لم ترد العمة طرقت شانا موضوع عودتهما الى بلادهما، فنظرت اليها العمة متفهمة:

ـ انت ترغبين في العودة في أسرع وقت، طبعاً. أنا مستعدة للسفر متى شئت.. ولكنني يجب أن أقول إنني أكره الهزيمة. ما هذا الموقف السخيف! انت وبيري تحبان بعضكما بعضاً بجنون. ومع ذلك يرفض الغبي فسخ خطوبته. انني حانقة عليكما كليكما. لماذا تضعان الضمير والشرف، أو كائناً ما تسمى تصرفات بيري، قبل السعادة؟ انت يوماً رفضت الاصغاء الى نصيحة من كانوا ينظرون الى وضعك بموضوعية وركبت رأسك الابله العنيد دون ان تفكري في المعاناة التي تنزلينها بك وببيري.

ـ عمتي.. لقد تباحثنا هذا مراراً من قبل، لذا أرجوك لا تعودي إلى تذكيري بغلطتي.

تابعت العمة وكأنها لم تسمع مقاطعة شانا:

ـ والآن جاء دور بيري.. أيمكن لرجل في مثل سنه أن يكون

عديم التفكير أو التعقل فيرمي بسعادته عرض الحائط؟ أرجو أن يندم على هذا في كل لحظة من لحظات حياته!

ـ عمتي! ما أفظع هذا القول! انظري إلى الأمر من جهة أخرى. إن بيري وسندي إن نحينا الحب جانباً، متلائمان فهما ينتميان الى الطبقة ذاتها ويشتركان في الاهتمامات نفسها.

ـ بالله عليك يا طفلة.. لا تستفزيني أكثر من هذا! لم أرَ قط شخصين أقل انسجاماً وملاءمة من بيري وسندي! أما بالنسبة للحب فتكادين تخرسينني من الذهول.

ولكن من الواضح انها لن تخرس أبداً.. اذ تابعت وتابعت، متجاهلة احتجاجات شانا تلوح بيديها ساخطة:

ـ الحب..! الحب! تتكلمين وكأن لا اهمية له، تمرين به مرور الكرام.. إن كنت تحسبين الحب غير مهم فأخطأت. إنه السبب الرئيسي للزواج الذي يدوم طويلاً، وهو أي الحب كان منذ الأزل وسيظل إلى الأبد السبب الرئيسي لزواج ناجح دائم. أتعتقدين أنهما قد ينسجمان في حياتهما دون حب؟

ـ إذا كان لهما اهتمامات أخرى..

قاطعتها العمة ثانية:

ـ أتعلمين ما هو رأيي؟ إن بيري قرر الزواج لينجب وريثاً. وهذه رغبة طبيعية.. أجل.. هذا هو سبب خطوبته لتلك الفتاة.

وغاصت العمة في تفكيرها العميق، فسارعت شانا تقول بنفاذ صبر.

ـ المهم يا عمتي أنه خطبها، وهو ينوي الزواج بها.

كانت شانا قد فكرت قبلاً، أن الرغبة في وريث، قد دفعت بيري إلى اتخاذ خطوة الزواج. فقد انتظر وقتاً طويلاً لم ينظر خلاله كما قال تشارلز الى فتاة أخرى بجدية حتى أشهر قليلة ماضية، راح

يلاحظ سندي غير ان استنتاجها هذا حفظته لنفسها. لأنها كانت ترغب في وضع حد لهذا الجدال المؤلم، فقد بدت عمتها على وشك أن تتفهم الموقف، وبدأت بالحديث عن حفلة الشواء.. التي دعي اليها بعض عائلات المزارعين من مسافات بعيدة. إضافة الى رعاة بيري، وهذا يعني أنه سيكون هناك حشد كبير..

التقت شانا ببيري وهي تبدو ساحرة خلاّبة رغم شحوب وجهها حين كانت على وشك الخروج من المنزل.. تنحت عنه لأنها تتوقع أن يرغب في الوحدة وأفسحت له المجال ليتقدمها بيد أنه توقف، غير قادر على إخفاء بريق الاعجاب في عينيه اللتين طافتا بها من رأسها حتى أخمص قدميها.

ـ يليق بك اللون الأزرق خاصة فيه هذا اللون بالذات ماذا تسمينه؟

ارتفعت حمرة لذيذة على خديها وقالت بخفر:

ـ عمتي اشترته لي.. تسميه زهرة العريشة الزرقاء.

هز رأسه، أما هي فاسترقت النظر اليه من تحت أهدابها.. فلاحظت ملامح وجهه المتوترة المتشددة، وعرفت أنه يجبر نفسه على أن يظهر بمظهر المسترخي.

ـ أجل.. هذا ما يجب ان يسمى.

وانتقلت عيناه الى شعرها الذهبي الذي يشكل هالة جميلة حول وجهها المستدير ثم قال فجأة:

ـ تعالي فلنتمش معاً.

تقدمت سندي واهلها من بيري قبل ان تتمكن شانا من الابتعاد عنه.. فنظرت الفتاة اليها نظرة مهينة قبل أن تلتفت إلى وجه بيري غير المبتسم، وتسأل بنعومة فائقة:

ـ أهناك خطب ما حبيبي؟ تبدو متجهماً بشكل مخيف.

هز رأسه ثم رسم ابتسامة ضعيفة على شفتيه نحو والدها:

ـ لا شيء سندي.. أين تشارلز؟

ـ قادم أراد أن يأتي بسيارته.

قطب بيري.. وتوجه نظره الى السيارة الكبيرة التي لم يستخدمها سوى ثلاثة.

ـ لماذا أراد المجيء وحده؟

ـ أظنه سيطلب منك البقاء هنا الليلة.

رافق رد السيد جيلبرت نظرة إلى شانا فضحت أفكاره وجعلت فم بيري يشتد ويتصلب فجأة.

ـ انه على ما يبدو عازم على اصطحاب السيدة بلايث معه غداً الى البلدة.. ولكن ما كان يجب أن أذكر هذا.. فسيقدم هو على هذا الطلب حالما يصل.

تدخلت سندي وعلى فمهاابتسامة زائفة تقول لشانا:

ـ هذا بسبب خيبة املك ذلك اليوم. هل استعدت عافيتك تماماً من مغامرتك سيدة بلايت؟

برقت عينا شانا وردت بجفاء:

ـ أجل.. شكراً لك آنسة جيلبرت.

ثم التفتت الى والد تلك الفتاة وقالت بصوت لطيف:

ـ أشكرك لأنك أرسلت رجالك بحثاً عني.. شكراً لك. وأنا آسفة لما أنزلته بكم من إزعاج.

هز رأسه اعترافاً بالكلمات المتواضعة، ولكن ابنته تدخلت مرة اخرى.

ـ أستغرب فعلتك تلك. ألم تكوني على علم بالأخطار المحدقة بالأحراج سيدة بلايث.. بيري حبيبي.. ألم تحذرها؟

لمعت عيناه غضباً يخبئه لها متى أصبحا منفردين. كان يبحث

عن كلمات ما فسارعت شانا بكرم اخلاق لإنقاذه:

ـ حذرني بيري بالفعل آنسة جيلبرت غير أنني كنت قد ابتعدت كثيراً حين تذكرت تحذيره أي بكلمات أخرى تهت قبل أن أتذكر.

اتسعت عينا سندي.

ـ أي أنك استخففت بالتحذير؟

احمرّ وجه شانا.. ولكن قبل أن ترد قال بيري متوتراً:

ـ شرحت شانا الأمر سندي.. وقالت إنها نسيت تحذيري فلا تتهميها بالاستخفاف.. فما من أحد يكون طائشاً بإرادته كما تذكرين.

مرت دقيقة صمت متوتر تمنت شانا فيها أن تعتذر وتنسحب.. ولكن عملاً كهذا سيكون أكثر من موجه وستعوزه اللياقة في هذه المرحلة. قالت سندي بصوت حزين فيما نظرتها إلى شانا مشبعة بالحقد:

ـ آسفة بيري.. لقد بدا لي ان السيدة بلايث تنظر الى المسألة بخفة، وأنا واثقة أن اياً منّا لا يريد أن تتيه ثانية.

ردت شانا ببرود:

ـ اطمئني لن يتكرر هذا ثانية. فلست غبية لأقع في الغلطة ذاتها مرتين.

احمرّ وجه سندي هذه المرة فرأت شانا أن لا بدَّ من الانسحاب. رفعت نظرها الى بيري وابتسمت له بعذوبة، لأنها امرأة، ولانها تريد أن تشغل بال سندي. وتمتمت بنعومة:

ـ يجب أن أذهب لأبحث عن عمتي. أتسمح لي بيري؟ وأشكر لك لطفك وتفهمك.

وابتسمت منحنية لوالدي سندي، ثم ابتعدت.. ولكن وجهها راح يتضرّج عندما فكرت في ما قالته لبيري.. فسيعرف ما تعني..

وفكرة معرفته هذه أحرجتها وجعلتها تبدو مضطربة حتى وجدت عمتها، التي سألتها حالاً:

ـ ما الخطب يا طفلتي وجهك أحمر.. لعلك مصابة ببوادر انفلونزا؟

ـ لا شيء من هذا القبيل.

وأخذت تروي لها ما حصل وانتهت:

ـ كنت لئيمة عمتي.. أليس كذلك؟ لا ريب أن بيري يعرف ذلك.

ـ ويعرف كذلك أن تلك الفتاة الكريهة تستحق كل شيء..

بدت العمة عدوانية إلى أقصى حد وهي تردف:

ـ ليتني كنت معكم! لأنني كنت سأجعلها تتمنى لو أنها لم تفتح فمها بكلمة!

ومدّت اصبعها قرب وجه شانا مهددة:

ـ ستكون هي سبب خراب نفسها.. تلك الفتاة.. تذكري كلامي!

أدارت وجهها وقد تغيرت أساريرها بأعجوبة:

ـ آه.. تشارلز.. يا ولدي العزيز! سأتركك مع شانا.. إذا كنت لا تمانع.

ومالت اليه قليلاً وكأنها تسرّ اليه بشيء.

ـ أظن انني وجدت لي شاباً.

وحدق تشارلز مذهولاً إليها وهي تبتعد:

ـ حسناً.. هل هذا صحيح؟

ـ بالطبع لا.. ! لا يمكن هذا..!

ولكن صوتها كان حاداً، وهي تنظر بصمت محركة رأسها وكأنها لا تصدق.

ـ الطبيب. . . ؟

ـ جورج؟. . عمتك والطبيب! يا رب العالمين! من كان يفكر في هذا! هل انت واثقة؟

قطبت جبينها وراحت تمعن التفكير في هذه العلاقة.

ـ إنهما يجلسان دائماً قرب بعضهما بعضاً، وكثيراً ما يتحدثان حين نخرج الى الشرفة عند المغيب. . وقد رقصا معاً طوال الوقت تقريباً في حفلتكم الراقصة. أتذكر؟

هز تشارلز رأسه ورد بحبور:

ـ لم يكن لي عينان يومها إلا لك.

انطلقت من فمها ضحكة لا إرادياً، وسألت وأفكارها تتمدد في كل اتجاه:

ـ أتظنه قد يتزوجها؟

سيباع المنزل وعندئذ تضطر هي إلى البحث عن مسكن آخر تعيش فيه وحدها فليس لها أحدا في انكلترا، لا احد أبداً.

لقد اعتمدت على عمتها. . تستمد منها الراحة. خلال الايام العصيبة التي مرت بها كانت عمتها تزورها رغم كرهها لتود وهي عندما كانت تأتي كانت تحمل معها الهدوء والراحة حتى وإن كانت أحياناً غير قادرة على منع نفسها من تعنيف تود في محاولة منها لدفعه الى التعقل.

كررت السؤال ثانية:

ـ أتظنهما سيتزوجان تشارلز؟

ـ لا أستطيع الجزم شانا. . وكيف لي بحق الله أن أعرف.

ـ لا. . طبعاً. . لن تستطيع أن تعرف. . ولو بقيت هنا. .

كان وجهها قد فقد كل ألوانه ولكن في الضوء الخافت في الحديقة لم يستطع تشارلز رؤيته وكانت نظرتها على رجل يدنو من

عمتها التي راحت ما إن أصبحت على مقربة منه تحدثه ثم رأت ذراع جورج تندس حول كتفي العمة غلوريا ليكملا طريقهما الى حيث كان يجري تحضير الطعام.

قال تشارلز:

ـ فلنلحق بهما لنرى ما قد نجد. . عمتك والطبيب!

ـ حسناً. . حسناً! هذا موضوع جديد للثرثرة سيدوم طويلاً، أؤكد لك. هل تعرفين أن كل امرأة متوسطة العمر تتصل بجورج علّه يحبها ولكن جورج كان منشغلاً عنهن جميعاً لذا لا استطيع فهم الوضع الآن.

ـ قد تكون متسرعين في استنتاجنا.

ـ هذا صحيح. . تعالي. .

وضع تشارلز يده تحت مرفقها وقادها الى حشد من الناس كانوا يتحدثون ثم لم تجد نفسها إلا خلف العمة وجورج الذي ما زال يضع ذراعه حول كتفي العمة ويتحدث معها بصوت منخفض. عندما ارتدت شانا خطوة الى الخلف، همس تشارلز:

ـ ما بالك؟ ألا تريدين الإصغاء؟

همست ترد:

ـ بالطبع لا. . . دعنا نحمل شيئاً نأكله.

هز كتفيه باعتذار.

ـ هل غضبت مني؟

ـ لا. . إنما ليس من اللائق استراق السمع الى احاديث الناس.

ـ أنت محقة. . ظننتك أردت معرفة ما إذا كانت عَلاقتهما حميمة، فإن كانت علاقة صادقة بقيت عمتك هنا طبعاً.

ـ طبعاً. . فلا أعتقد أن جورج قد يرغب في العيش في انكلترا، فضلاً عن ذلك أن عمتي أحبت موطنك هذا بل لقد

تكلمت مازحة عن رغبتها في شراء مزرعة.

ـ وهل ستعيشين وحدك.. لو قررت عمتك البقاء؟

هزت رأسها، تتمنى لو تتغير دفة الحديث.

ـ سأضطر عندئذ إلى العيش وحيدة.

ـ ألك منزل؟

ـ قلت لك أعيش مع عمتي.

ـ أجل.. إنما.. ألم يكن عندك منزل حين كنت متزوجة؟

توقفت لتتناول قطعة ضلع من لحم خروف.. تردد تشارلز قليلاً ثم حذا حذوها.

ـ لقد تخليت عنه بعد وفاة زوجي.

واقتربت من مقعد خشبي طويل يقبع تحت شجرة فجلست عليه مختارة زاوية بعيدة عن اشخاص يحتلون منتصفه ويتحدثون بصوت مرتفع. جلس تشارلز على مقربة منها وراحا يتناولان الطعام.

ـ إذن.. لن يكون لك منزل حين تعودين إلى بلادك. هذا إذا قررت عمتك البقاء هنا؟

التفتت اليه عابسة، لتسأله:

ـ والى أين يقودنا حديثك هذا؟

انتفض تشارلز قليلاً:

ـ لا أفهم قصدك شانا؟

ردت بهدوء:

ـ بلى.. تعرف. فأنا متأكدة ان في رأسك فكرة ما تشارلز.

ـ تعرفين إذن ما أود الوصول إليه؟ أنت تعجبينني كثيراً.. لذا أطلب يدك للزواج.

تساءلت كيف ترد على هذا، دون أن تجرح مشاعره أو

كبرياءه؟ لن يحس بالجرح، لسبب بسيط هو أنه لا يحبها.. بل يعتقد ذلك.. فبعد هذه المدة القصيرة باتت تعرفه أكثر مما يعرف نفسه، فردت عليه بلهجة ناعمة:

ـ يشرفني هذا تشارلز ولكنني لا أستطيع الزواج بك.

ـ لماذا شانا؟ أنا أعجبك دون شك؟

ـ الإعجاب لا يكفي..

ـ لكن.. لا يمكنك العيش وحيدة.فكري في طلبي.. أرجوك عديني أن تفكري.

ردت بمرارة:

ـ أنت تحس بالاسى عليّ وأنا أرفض شفقتك تشارلز أما بالنسبة للعيش وحيدة، فالوقت ما زال مبكراً على هذا التكهن. فعمتي لم تلمح بعد إلى أن علاقتها بالطبيب علاقة جادة.

ـ إذن أنت لن تفكري حتى في الزواج بي؟

بدا كئيباً إلا أن شانا لم تشعر بالذنب ذلك أنه سيتغلب على جرحه هذا في بحر أسبوع. قالت له:

ـ ليس الزواج جزءاً من مخططاتي المستقبلية.

ما إن ظهرت سندي مع بيري حتى توقف البحث في الموضوع.

سألت سندي أخيها:

ـ هل رتبت امر رحلتك الى كريستشرش؟

فقطب اخيها في وجهها، وقال لها بحدة:

ـ لا.. لن نذهب.

احتلت نظرة رضى وجه شقيقته بينما نظر بيري بحدة الى شانا، التي أخفضت رأسها امام نظرته..

ـ ألم ترغبي في الذهاب الى البلدة؟ (سألها بيري بفضول).

ـ لم يطلب تشارلز مني ذلك.

اتجهت عينا بيري الى تشارلز:

ـ أو لم تفعل؟

حبست شانا أنفاسها وهي تنظر الى وجه تشارلز المحتقن. كان يسود الجو صمتاً متوتراً قبل أن ينفجر قائلاً:

ـ لا! بل طلبت منها ان تتزوجني.. ورفضت!

وهب عن المقعد الذي كان يجلس عليه قرب شانا ثم ابتعد في الظلام، فقالت سندي بلهجة متسلية وازدراء بارز:

ـ طلب منك الزواج؟ ما أسعدني لأنك أظهرت بعض التعقل ورفضت طلبه سيدة بلايث..

صمتت فجأة، ليس بسبب البريق الغاضب الذي ظهر في عيني شانا.. بل بسبب النظرة التي رمقها بها خطيبها. إنها تسعى دون ريب للمتاعب.. ولا بد أن سندي فكرت في ما تقدم عليه فقد سارعت تتابع، وكلماتها تتعثر الواحدة بالاخرى في محاولتها منها للتراجع عن قلة تهذيبها التي أظهرتها أمام فتاة هي ضيفة بيري:

ـ ما أعنيه.. أن تشارلز يفكر حالياً في وريث، ولا أحسبك ترغبين في الزواج لهذا السبب فحسب.

تركت هذه المرة صوتها يتلاشى في نهاية الجملة ذلك أنها أدركت أنها لم تنجح في تصحيح غلطتها إذ كان فم بيري المشدود وعظام فكيه البارزين يعصفان بخفقات قلب شانا الى درجة الجنون. ولكن سندي تستحق هذه النظرة لأنها السبب في ما يقع عليها من توبيخ.

قال بيري بقسوة:

ـ فلنغير الموضوع. ماذا تريدين أن أحضر لك من طعام أم تفضلين الاختيار بنفسك؟ اتنصحيننا بما تأكلين شانا؟

نظر الى وجهها، فهزت رأسها:

ـ إنه لذيذ.

غير أن الارتباك لم يمر بعد على الرغم من الحديث الطبيعي المتعلق بالطعام. كانت سندي شاحبة شحوباً أزرق، من جراء غلطتها.. والنظرات التي وجهها اليها خطيبها، ولكنها تمكنت من الابتسام:

ـ احضر لي ما تريد بيري.

حاولت بكلماتها هذه استرضاءه وعندما فشلت أضافت:

ـ سأتناول ضلعاً مشوياً وهمبرغر.

تحرّك دون أن يتفوه بكلمة، إلا أنه أثناء توجهه إلى المقصف تكلم مع بعض المدعوين، أما سندي فقالت بنبرتها الناعمة التي يفوح منها الزيف:

ـ آسفة سيدة بلايث، إن أغضبتك.. إنما كنت أحاول المساعدة. أترين.. الحياة في هذه المنطقة مملة لمن عاش في أماكن معدّة للتسلية والمرح. صدقيني لن تتمكني من تكييف نفسك في محيط مختلف تماماً.

ردت شانا بهدوء دون أن تلتفت إليها.

ـ لن أقبل الزواج بأخيك أبداً آنسة جيلبرت، فلا تقلقي. فأنا لا أحبه.. وهو لا يحبني.

ـ حب..

فكرت الفتاة قليلاً في الكلمة ثم أردفت ببطء وحقد:

ـ أنت دون شك تحبين شخصاً آخر.. سيدة بلايث؟

رفعت شانا نظرها عن صحنها، وقد توترت اعصابها. ليت بيري يعود.. قالت.

ـ لا اظنني أفهم قصدك.

غير أن الفتاة اطلقت صيحة استهجان بنفاذ صبر.

ـ ليس من الصعب أبداً أن أرى أنك متيمة ببيري. وعلى ما أحس أن الجميع لاحظ هذا الحب.

تساءلت شانا عندئذ ما قد تقوله سندي لو أعلمتها أن هذا الخداع لا طائل منه لأنها تعرف أن سندي تطلق هذه الكلمات فقط لأنها على معرفة مسبقة بها.. معرفة اكتسبتها حين تعمدت سرقة صورتها من جيب بيري لتراها. ولكن، شانا طبعاً لن تبوح بما تعرفه حتى وإن ارادت، لأن ذلك يعني أفتضاح أمر تشارلز. تصاعد لون احمر قاتم غطى وجهها، فرفعت رأسها لترى بيري يعود حاملاً صحنين من الطعام. فوقف فجأة تنتقل عيناه النافذتان عدة مرات منها إلى الفتاة الأخرى وكانت شانا تشعر بالراحة لأنها أنقذت من ايجاد رد مناسب لكلمات الفتاة الاخرى الكريهة.

ـ هل لي أن أجلس هنا؟

جعل صوته، المهذب، البارد شانا ترتجف.. وكان على وشك الجلوس بينهما ولكن سرعان ما ألصقت سندي نفسها بشانا، فجلس في الفسحة الشاغرة الى جانب خطيبته. تناولت منه صحناً ومنديلاً ورقاً.

ـ شكراً حبيبي.

وابتسمت له، فأحست شانا أن الابتسامة كانت عبارة عن أمر متعجرف له ليتخلى عن برودة ويعاملها كما يجب أن تعامل الخطيبة.. شعرت شانا أن بيري فهم ما فهمته، إلا أنه أبقى الأمر مخفياً تحت قناع لم يتغير واحتفظ بصوته بارداً مهذباً وهو يرد على اسئلة سندي غير أن شانا وجدت الجو متوتراً مشحوناً فاتخذته عذراً وتركتهما وحدهما.

لحقت بعمتها وبجورج وراحت تتحدث معهما فترة حتى

سألتها العمة عن مكان وجود تشارلز.. ففكرت شانا قليلاً ثم قالت:

ـ لقد ذهب الى مكان ما.

ـ الى أين عزيزتي. لا أراه هنا؟

ـ لن تستطيعي رؤيته بين هذه الجموع.

نظرت اليها العمة متسائلة:

ـ تبدين متعبة عزيزتي.. لا يجب أن نبقى هنا طويلاً.

ـ لا.. أظنني سأدخل الى المنزل قريباً.

وقال الطبيب:

ـ ربما لم تشفي بعد من محنتك تلك التي عرضت لك في الأحراج.. أجل.. يجب أن تستريحي باكراً.

بعد قليل تقدم منها لانس فراح يبادلها الحديث ثم لم يلبث ان تركها، فالتفتت الى عمتها فإذا بها تراها قد ابتعدت غير أن جورج اقترب منها قائلاً إنه يريد أن يتحدث معها على انفراد فعلمت ما سيقول:

ـ طبعاً، ما الامر دكتور؟

وراح يتكلم ذاكراً لها أنه وعمتها يريدان الزواج ولكن عمتها ترفض أن تتخلى عن ابنة أخيها، التي لا تستطيع العيش وحيدة. فكان أن رفضت طلبي رغم موافقتها عليه. فقلت لها إنه يمكنك العيش معنا ولكنها ذكرت أنك لن توافقي أبداً. لهذا أردت أن أتحدث إليك إذ اشعر أن الغموض يلفك. فالمكان يعجبك هنا، وأنت تتكيفين مع الحياة في بلادنا بشكل رائع. فلماذا هي متأكدة من رفضكِ الاقامة معنا؟ أهناك سبب خاص يمنعك من السكن معنا؟

فكرت شانا في أنها ستحب الاستقرار في هذه الأرض إنما

ليس على أساس أن تكون ضيفة عند الطبيب فعليها ان تدفع ثمن اقامتها، وكيف لها ذلك ولا وظائف في مجتمع كهذا. إنها على أية حال لن تستطيع البقاء بعد زواج بيري بسندي.

عندما كرّر الطبيب سؤاله اضطررت للرد:

ـ ثمة سبب ما غير أنني أرفض أن يؤثر في علاقتكما، أنا أريد للعمة السعادة لذا يجب عليها ألا تضحي بنفسها لأجلي. سأحدثها بالأمر.

ـ أخشى أن تغضب عمتك مني إذا كلمتها. فقد منعتني من إزعاجك ولكنني تمكنت من ترك المجموعة دون أن يلاحظني احد، لأكلمك.. لا.. يجب الا تقولي شيئاً.

ـ أتعرف؟ شككت في أن علاقة ما تنمو بينكما.

ـ صحيح؟

ـ لم يكن الأمر مفاجئاً.. ذلك أنكما كنتما تجلسان على الشرفة متلاصقين، وتتمشيان معاً وذراعك حول كتفيها..

ـ أجل.. أجل.. أظن أن هذا كان بيّناً للجميع.

ـ لذلك سأتمكن من التحدث إليها دون ذكر حديثنا هذا.. فلا تقلق.. سيكون كل شيء على ما يرام.

ـ شكراً لك عزيزتي.

ـ عليك العودة قبل أن ترانا.

وقفت تحدق فيه وهو ينسحب بسرعة سعيدة بما سمعت متمنية بإخلاص نجاح مساعيها في دفع العمة الى الزواج بالطبيب.

ارتدت على عقبيها تسير ببطء مفكرة قبل أن تدخل إلى البيت غير أنها توقفت فجأة، وتراجعت لتلتصق بجذع شجرة فقد سمعت أصواتاً.. صوت بيري وسندي.. ما أغباها لأنها توقفت هنا فهما لم يشاهداها بسبب وجودها بين الأشجار.

ـ .. ولن أقبل بأن اتعرض للإهانة بتصغير شأني امام تلك الفتاة...!

كانت شانا تسمع هذا القول من سندي الحقود.

قاطعها بيري:

ـ ما السبب الذي يدفعك الى كرهها؟ لقد شرعت منذ البداية بالكذب وادّعاء ما لم يحدث منها لتحدثي شرخاً وسوء تفاهم بيني وبينها.

خفق قلب شانا.. إنه شجار.. نظرت حولها بيأس. يجب أن تبتعد، فهي لا تريد التطفل والإصغاء إلى شجار خطيبين ولكن لو تحركت الآن للاحظا وجودها. لماذا لم افكر في هذا الاحتمال قبل أن أتوقف هنا؟

ـ لقد ذكرت حين تحدثت إلي بواسطة جهاز الإرسال، أنها صديقة فإذا هي أكثر من صديقة.. أليس كذلك؟

شهقت شانا بصمت.. أتدرك سندي ما تفعل؟

ـ أكثر..؟

كانت النبرة ناعمة يلفها غضب لاذع بلغ مسمعي شانا حاملاً معه شراً.. فارتجفت.. إن بيري في مزاج بشع الآن.

ـ وكيف، إذا جاز لي السؤال، حظيت بهذه المعلومات؟

ـ إذن انت تعترف؟

أتحاول خداعه؟ هزت شانا رأسها وكأنها تقول لسندي إن بيري حين يشاء ينال ما يريد رد بيري بثبات:

ـ أعترف.

ـ أتعترف أيضاً أنك ما زلت تحبها؟ أتعترف؟

لا رد من بيري.. وبعد لحظات صمت كرر بيري سؤاله:

ـ ألن تخبريني كيف توصلت الى المعلومات؟.. فأنا أريد

www.rewity.com

الوصول إلى الحقيقة.

حاولت مرة أخرى التخلص منه:

ـ أشعر وكأنك تريد فسخ خطوبتنا؟

صمتت تنتظر رده فلما لم يجب تابعت بصوت كالفحيح:

ـ لن أسمح لك بفسخها. لن أفقد ماء وجهي.. فأبعد اي فكرة عن فسخ الخطوبة من رأسك!

شهقت شانا وهي تسمع هذا الكلام ثم لم تلبث أن ارتدت إلى الوراء ببطء مبتعدة عن الشجرة الملتصقة بها. فلو استطاعت التسلل إلى الأخرى ومنها إلى التي بعدها لاستطاعت الابتعاد دون ان يلاحظها أي منهما.

كانت سندي تتوجه رأساً الى المتاعب.. لكنه فاجأها ببرود:

ـ ما زلت أنتظر ردك على سؤالي سندي.

بدأت الفتاة تتكلم بشكل غير مترابط وبصوت أجش مشبع بالغضب. اغتنمت شانا الفرصة فتسللت الى الشجرة الثانية فالثالثة فالرابعة وهكذا دواليك حتى وجدت نفسها أخيراً بعيدة عن الأشجار فسارت بطريقة طبيعية.

صاح احد الرجال:

ـ إنه أحد الجياد الوحشية؟ لقد فرّ من الإسطبل.

وانهالت عشرات التحذيرات إلى مسمعي شانا التي شُلّت قدماها فجأة إذ كانت ترى الجواد يتجه إليها بشكل عاصف بل بالأحرى كان يطير شامخ الرأس يزبدأنفه.. كانت أمامه مباشرة.. تقف في طريقه وصرخات التحذير تعلو وتعلو حتى صمّها الصياح.. ولكن بين الصياح سمعت بيري يأمر بشراسة وهو يركض أمام الجمع المسحور.

ـ شانا.. بالله عليك تحركي!

غير أنها بقيت مسمرة يخفق قلبها بشدة وقد شلّها الرعب شلاً.

ـ شانا...

أحست بألم عظيم حين لمس حافر طرف رأسها. تأوهت تأوهاً شديداً منتظرة الألم والعذاب الذي سيأتيها تحت الحوافر.. غير أن يداً أمسكت عنق الجواد الجامح ولجمته وهذه اليد لم تكن يداً قوية فحسب بل يداً فائقة القوة استطاعت أن تغيّر وجهة الجواد قبل أن تطأ قائمتا الجواد وجه شانا المذعورة.

ـ شانا.. حبي...

أحست به يحملها من حيث وقعت وأحست بالرجال يسرعون للإمساك بالجواد الفار. أما سائر الناس فراحوا يتحدثون دفعة واحدة مهنئين بيري على سرعة تصرفه. أما بعضهم فسمعتهم يقولون إنها معجزة أن تبقى على قيد الحياة ولكن صوتاً أجش صاح:

ـ يا لحماقة الفتاة! كان امامها متسع من الوقت للابتعاد عن طريقه.

إنها سندي...

قالت شانا بصوت يقطعه الالم:

ـ أنا آسفة بيري... حاولت أن أتحرك.. حاولت حقاً.. غير أن الرعب شلني.

ـ اصمتي حبيبتي... اصمتي..

كان يحملها بسهولة، فأنزلت رأسها الى كتفه وهي تفكر.. لا.. يجب ألا اضع رأسي عليه، لئلا يفسد الدم ملابسه.

ـ شانا.. شانا.. أوه يا طفلتي هل أنت بخير.

تقدمت العمة مع الطبيب يسيران جنباً إلى جنب مع بيري قاصدين المنزل فردت بضعف:

ـ أجل عمتي.. لا تقلقي.

ـ لولا بيري لـ...

وصمتت غير قادرة على إتمام الجملة.

حمل بيري شانا إلى غرفة نومها يتبعه الطبيب الذي ما إن عاينها حتى استقام واقفاً ونظرة رضى على وجهه:

ـ إنه جرح بسيط.. أنت أكثر الناس حظاً في هذه البلاد.

بعد وقت قصير دخلت خادمة تحمل الماء الساخن الذي تناوله الطبيب منها ثم شرع ينظف لها الجرح، وضمده لها بضمادة بيضاء أما بيري فوقف قرب السرير يراقب العملية كلها حتى ذهب الطبيب مبتسماً برفقة العمة بعد ذهابها. جلس بيري على كرسي، وفتح فمه ليقول شيئاً ثم لم يلبث أن صمت ذلك أن طرقاً على الباب انهال في اللحظة نفسها.

أطلّت لونا ونظرة غريبة تعلو وجهها.

ـ الانسة جيلبرت تود التحدث إليك سيدي.. وهي تقول حالاً.

فوقف بيري وعيناه تقدحان شرراً بشكل خطير:

ـ أين هي؟

ـ في غرفة الجلوس.

فلحق بالفتاة ولم تمضِ خمس دقائق حتى عاد وابتسامة تضيء قسماته. كانت شانا قد تركت السرير ووقفت امام المرآة تنظر الى الضمادة الضخمة التي تغطي الجرح الذي تلقته من حافر الجواد. فاستدارت حالما تلاقت نظراتهما في المرآة.. استدارت بدافع لا يقاوم مرتبكة خجلى متمنية لو تأخر قليلاً في الدخول عليها. كانت ترتعش فلم تجرؤ على التفوه بسؤال كان يلوح على فمها... أما هو فقطع المسافة الفاصلة بينهما ليحتويها بين ذراعيه، دون أية

كلمة. ثم انحنى يقبل رأسها المضمد بحنان، ودقات قلبه تصل إلى مسمعيها لتتناغم مع دقات قلبها.

تمتم وفمه على شعرها المنسل من الضمادة:

ـ كل شيء على ما يرام يا أعز الناس. أصبح كل شيء الآن على ما يرام.

غير معقول.. غير صحيح.. وارتجفت بين ذراعيه ثم دست نفسها أقرب فأقرب إلى قلبه.

ـ على ما يرام.. وسندي؟

شرع يقص عليها أمر الشجار، دون أن يذكر التفاصيل ولكنها فهمت أنه أجبر سندي على الاعتراف بالحقيقة فعلم أنها سمعت ما قاله لأمه وعلم طبعاً بعملها المشين الذي حدث حين فتشت جيوبه بحثاً عن الصورة. كانت شفتاه وهو يتكلم ترتجفان ازدراء.

ـ قرفت منها حتى كدت أرفض أن أتم حديثي غير أني عدت فقلت إن الخطوبة انتهت...

عرفت شانا حين صمت أنه لا يريد أن يخوض في التفاصيل. ولكنه أردف:

ـ لم يكن بيننا حبّ بل مصلحة أردنا أن يقوم الزواج عليها وهو زواج مناسب لشخصين لديهما رغبة معينة لا حب. كنت أرغب في وريث في حين أن سندي رغبت في المركز الذي سيؤمنه لها زواجي بها.. لديها المركز والثراء، لذا لم تشأ الزواج إلا ممن يؤمن لها ما اعتادت عليه دائماً. فلمّا فكرت وجدت أنني الشخص الذي ينسجم مع مخططاتها. أما أنا فلم أكن لأتزوج بفتاة أسبب لها ألماً. وبما انني احبك أنت حباً سيدوم إلى الأبد، فقد اخترت سندي التي هي نقيضك تماماً آمناً بذلك من أن تذكرني بك.

ـ أنت تجعلني.. أشعر.. بالحزن...

لم تكن تريد أن تقول هذه الكلمات التي انسلت من بين شفتيها دون رقيب. ولأنه يفهمها ويفهم أحاسيسها، فقد جذبها إليه اكثر ورفع لها رأسها، وطبع على جبينها قبلة.

ـ أعلم أنني قلت أشياء فظيعة لك عندما كنت غاضباً ولكن يا أغلى الناس، لم أعنِ منها شيئاً...

وارتجف.. وهذا غريب عليه لأنه يناقض قوته.

ـ يا حبيبتي.. لقد مضى علينا زمن طويل طويل.. إنك لي أخيراً.. يا للمعجزة!

ـ في الواقع هي معجزة..

وفكرت: كنت في البداية امرأة مرفوضاً وجودها.

قرأ بيري ما في افكارها فرد عليها.

ـ أتفكرين في رفضي الترحاب بك! أترين حبيبتي.. كنت أشعر أن لا فائدة من فتح الجروح. لأنني كنت قانعاً بالصفقة التي عقدتها مع سندي كما انني لم أستطع تصور نفسي أتخلى عنها. أجل يا حبي.. أعرف أنني لم احاول فهمك حين رفضت ترك تود.. ولكنني بت أفهمك الآن. فالشرف والكرامة انتصرا على حبك كما انتصرا على حبي حتى احسست أنني لن أستطيع العيش دونك.. نعم إن هذا ما أحسسته منذ أن عدت إلى حياتي ثانية.. لم أستطع إجبار نفسي على التفكير في ترك سندي.. أترين؟ في ذلك الوقت لم يكن لي عذر.. ولكن حين عرفت أنها فتشت جيوبي وحين رأيت تصرفاتها معك أدركت ان لديها جانباً مختلفاً تماماً عن الذي أعرفه. عرفت ان لدي عذراً لأعيد النظر ثم عندما قالت بحزم إنها لن تقبل ذل فسخ الخطوبة، عزمت الرأي ولكنها طلبت مني ان أشيع بين الناس انها هي التي تركتني.. كان هذا ما أرادت الحديث عنه الآن.. فوافقت.. طبعاً.

أعقب كلامه صمت عميق رفعت على أثره عينيها فتمتم:

ـ يا فتاتي العزيزة الحلوة.. لم تتغيري أقل تغيير.. احبك شانا!

وأحس بقلبها يقفز على صدره فرحاً.. فقال وكأن الغيرة لا تزال تحرقه:

ـ كرهت تشارلز.. كرهته مع أنني اعرف أنك لن تقبلي الزواج به.. لأنك تحبينني أنا.

تراجعت الى الوراء لتنظر إلى عينيه، واخذت تخبره بكل شيء عن عمتها وما اكتشفته من مؤامراتها.. فابتسم:

ـ تلك المتآمرة العجوز! كم سببت لي من ألم قلب!

ضحكت شانا:

ـ لقد أخبرت تشارلز قصة محزنة عن قلبي المحطم حتى يحس بالأسى عليّ.. وما هدفها إلا أن تجعلك تغار فتفكر ساعتئذ في ترك سندي والزواج بي. أما أنا فظننتك تشفق علي. لقد اتخذت جانب البرودة لأنني أرفض الشفقة.

ـ اذن هذا هو سبب تبدلك ذاك؟ الشفقة؟ آه لم أشعر قط بشفقة تجاهك بل بالحب. ألم أقل لك يوماً إنه قُدّر لنا أن نكمل بعضنا بعضاً.

وضحك يضمها اليه ثانية، فاستكانت على صدره متوهجة.

ـ ستسعد عمتي.. لأن الفضل يعود لها في اجتماعنا من جديد... كدت أنسى! عمتي والطبيب سيتزوجان...

أبعدها عنه دهشاً:

ـ ماذا؟ ماذا قلت؟

ـ هذا صحيح...

ثم راحت تشرح له.

ـ لم أفكر قط ان جورج قد يتزوج.. إنها أخبار رائعة! ما كنت لأتركها تعود إلى انكلترا لتعيش وحيدة بل.. كنت سأعرض عليها مسكناً.. لأنني مدين لها كثيراً.. كثيراً.

وافقت بحرارة:

ـ كلانا مدين لها.

بعد صمت قصير بين احضان بعضهما بعضاً قال لها:

ـ سنقوم بالرحلة الى البحيرات لنقضي هناك شهر عسل ممتعاً. سنتزوج حالاً.. أتوافقين؟

لقد لاح أنه يطلب ولكنه في الواقع ما كان يطلب بل يأمر.

فردت بطواعية:

ـ بكل تأكيد.. أنا تحت أمرك حبيبي.

وتمتم بحنان ويداه تطبقان على خصرها:

ـ ستكونين أروع عروس تشهدها غريت سليف وأحبهن وأجملهن على الإطلاق.

* * *